جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

مجهودات القديس أوغسطين في نشر و تطوير الديانة المسيحية في بلاد المغرب

(م 430-354)

مذكــرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبتين :

فضيلة محاوشة

مسعودة زغدود

الأستاذ المشرف :

محمد رشدي جراية

لجنـــة المناقشـــة

الرقم	الأستاذ	الصفة	الجامعة
01	عمر بوصبيع	رئيساً	جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي –
02	محمد رشدي جراية	مشرفاً و مقرراً	جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي –
03	عبد الحق بالنور	مناقشاً	جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي –

السنة الجامعية : 1438. 1439هـ / 2017. 2018م

قال تعالى :

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

صدق الله العظيم

سورة التوبة الآية (18)

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

الشكر لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة و أعاننا على أداء هذا العمل المتواضع ووفقنا في أداء ما كنّا نصبوا إليه فالحمد لله أقصى مبلغ الحمد والشكر لله من قبل ومن بعد

كل الشكر والعرفان للوالدين الكريمين على تربيتهما وتشجيعهما ودعائهما وأمنياتهما لنا بالتوفيق والسداد

نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى أستاذنا الفاضل المشرف السعيد شلالقه على كل ما قدمه لنا من توجيهات وتصويبات صحح بها عثرتنا لإنجاز هذا البحث

والشكر الموصول إلى الأستاذ عبد الحميد العابد على تصويبه لنا

ونتوجه بالشكر والتقدير لكل من عماد سعدين و مسعودة سقني على ما قدماه لنا من مساعدات في الجانب العلمي والعملي

وكل الشكر والاحترام لكل من رافقنا طيلة فترة إنجاز هذا البحث بالدعاء وعبارات التمني و التوفيق من الله تعالى .

الإهداء

إلى.....

التي يؤلمنا تعبها ويكسرنا حزنها و وجودها حياة ودعواتها قارب نجاة (الأم)

للذي لا يأتي مثله أحد..... ولا يأخذ مكانه أحد (الأب)

للذين يعادل حبهم ألفي نجمة تلمع في السماء (الإخوة)

للذين إذا حضروا دق القلب فرحًا وإذا غابوا دق القلب شوقًا (الأقارب)

للذين تعلمنا منهم بأن فوق العصا همزة وتحت الباء نقطة وتركوا لنا بصمة في حياتنا (المعلمين)

للذين أفاضوا علينا من بحر العلم نور يشيع أملاً و أناروا لنا دربًا مظلمًا (الأساتذة)

للذين لا تحلوا الأماكن إلا بوجودهم وتبكينا المقاعد الخالية شوقًا لهم (زملاء الدراسة)

للذين يتركون بنا أشياء جميلة تجعلنا نبتسم حين تبدو الحياة كئيبة (الأصدقاء)

للنائمين طويلاً سلامًا على أرواحكم البيضاء وجعل الله قبركم ريحان وجنة ونعيم....

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
ج	جزء
د.س	دون سنة
د.ص	دون صفحة
د.ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
د ط	دون طبعه
م	ميلادي

كلمة شكر

قال الله تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من لا يشكر الناس لا يشكر الله ﴾

بعد الثناء والحمد لله الذي وفقنا لإعداد هذا العمل لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر وعظيم الامتنان

للذين كانوا ورراء هذا العمل وساهموا كل من موقعه في تقديم ما يستطيع من عون،

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **محمد رشدي جرايه**

على ما قدمه من ملاحظات وتشجيعات وحث على الاستمرار، فكانت توجهاته وإرشاداته ذات منفعة وفائدة لنا في تحديد ماهية موضوع الدراسة والتي كان لها الأثر الأكبر في إتمام هذا العمل .

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة

وإلى كل أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الوادي عبر مختلف مراحل الدراسة .

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة	
الفصل التمهيدي: الحركة المسيحية واضطهادها ببلاد المغرب	
المبحث الأول : دخول و انتشار الديانة المسيحية	07
1 . بداية انتشارها	07
2- منافذ دخول المسيحية الى بلاد المغرب	09
المبحث الثاني : الاضطهاد الرومان للمسيحيين	15
1- الاضطهاد في عصر الأباطرة:	15
2- آثار الاضطهاد الديني	18
الفصل الأول : الحياة الاجتماعية للقديس أوغسطين	
المبحث الأول : التعريف بأوغسطين	22
1. مولده ووفاته	22
2. تعليمه ومهنته	23
3. شهرته	25
المبحث الثاني : مراحل التي أثرت في تكوين شخصيته	27
1ــ التحولات الفكرية	27
2 ــ صراع أوغسطين الروحي	29
3 ــ أوغسطين في أسقف هيبو	31
4. زعامة اوغسطين في هيبو	32
المبحث الثالث: الأعمال التى قام بها أوغسطين في تطوير الديانه المسيحيه	33

1ــ مؤلفاته	33
2. القديس أوغســـطين ومنهجه في دراسة التاريخ	37
3. منهج دراسة التاريخ عند القديس أوغسطين	42
4. قراءة لاهوتية التاريخ عند القديس أوغســـطين	44
الفصل الثاني: صراعات القديس أوغسطين في نشر الديانه المسيحيه	
المبحث الأول : صراع أوغسطين مع الحركه الدوناتيه والدورين	55
1. الحركة الدوناتية	55
2. الثورة الدورية	61
3. موقف أغسطين منها	62
المبحث الثاني : الغزو الوندالى	64
1. تعريف الوندال	64
2. اسباب الغزو الوندالي لشمال افريقيا	65
خاتمة	76
الملاحق	80
قائمة المراجع	89
فهرس المحتويات	95

مقدمة

مقدمه

مرَ تاريخ المغرب القديم بفترات واضحة كانت محل إهتمام المؤرخين حيث أبرزت أحداثها المختلفة عمقا وشموله وتفسيرا بحسب إتجاهات الباحثين كما يحتوي على فترات غامضة لا تزال التساؤلات والإفتراضات حولها مطروحة.

ومن بين المواضيع التي أسالت حبرالديانةالمسيحية في المغرب القديم،أثناءالاحتلال لروماني لبلادالمغرب عرفت مرحلتين مختلفتين الفترة الأول المعروفة بالفترةالوثنيه أما الفترة الثانيه عرفت بالمسيحية شهدت إقبالا كبيرابإعتناق الديانةالمسيحية فقد كانت المقاومة في القرن الأول تقوم على التضامن القبلي والإقليمي دعمتها المسيحيةالتي أخذت تسير في ثنايا المجتمع الأفريقي وخاصة في طبقة الفقراءحيث كانت أداة نضال ضد السلطةالرومانية.

مع منتصف القرن الثاني بدأتالديانةالمسيحية تتركز بأهم المناطق الحضارية كمدن (قورينة) وقرطاج وسيرتابإعتبارها كديانة توحيد معاديه للإمبراطور، فلقد صاحبتها في البداية حركة إضطهاد واسعة خصوصا في قرطاج وسرتا وكان أغلب المضطهدين من الفئات الفقيرة من بعض الأهالي الذين إعتنقوا هذا الدين الجديد ووجدوا فيه راحتهم الإنسانية أمام السلطة

لقدإنتشرت المسيحية شيئا فشيئا بإنضمام العديد من الأتباع مما زاد منقلق الإمبراطوريةالرومانيةالتي لم تقف على انتشارها.

ومع حكم الإمبراطور ديقليانوس في نهاية القرن الثالث إزدادت السياسةالقمعية من لا يعتنق الديانةالرسمية "عبادة الإمبراطور" خارج على القانون مع بداية حكم قسطنطين سنة 312 م تم تبني سياسة التسامح الديني .

بهذا تمكنت المسيحيةالإفريقية بإنتشار الكنائس في مختلف المدن والقرى والتجمعات السكانية فإن ذلك بقدر ماكان دليل على قوتها بقدر ماكان عاملا لظهور انقسامات في صفوف أتباعها لأن الوضع السياسي والإجتماعي غير متساوي بين هؤلاء الأتباع ولذلك فإن المجتمع البربري تعرض لعدد من التيارات الدينيةالتي لم تكن مطابقة لنظرة الكنيسةالرسمية " الكاثوليكية ".

❖ **الإطار الزماني والمكاني :**

تعلقت المذكرةبفترة هامة من تاريخ المغرب القديم في الجانب الديني والثقافي والإجتماعي والسياسي من خلال القديس أوغسطين"354-430 م "،الذي لعب دور كبير في إثراء الموضوع بوجهة نظر المؤرخين له هناك من كان يعتز به وهناك من يرجع عليه اللوم في العديد من الأحداث التي عقبت تاريخ المغرب في تلك الفترة

أما الإطار المكاني فقد تركت الموضوع مفتوح على كامل بلاد المغرب القديم إنطلاقا من الإضطهادات وبروز شخصيات مغاربيةمسيحية الى أن ظهر الغزو الوندالي.

❖ **أسباب إختيار الموضوع :**

كونه جديد لأن جل الدراسات لا تغوص في أعمال رجال المغرب الذي لعب دور كبير في إثراء تاريخ المغرب خصوصا الجانب الثقافي ولا زالا الى يومنا،

لم يحض بالدراسةالشافية وإفكاك شفرته وإثبات الهويةالمغاربيهالتي تكاد تنعدم في مجتمعنا اليوم والتي ينظر إليها من زاوية لا حضارة للمغرب ، هذا ما يثبت وجود مفكرين وفلاسفة تقوم بأبحاث في القديم ولا نقول أن كل ما ورده منهم كان يخدم المغرب ولكن سيرورتهم التاريخية تثبت وجود حضارة تعم بالتطور والإزدهار في تلك الفترة

المساهمة في إثراء مكتبة الجامعة.

❖ **الإشكالية :**

في ما تمثلت مجهودات القديس أوغسطين في نشر وتطوير الديانةالمسيحية؟

من خلال الإشكاليه الرئيسي يتبادر لذهن أي باحث مجموعه كبيره من الأسئلةالفرعية

1- فيما تمثل الفكر الديني؟ وكيفه انتقل من الوثني الى التوحيد؟

2- من هو القديس أوغسطين؟وما هي الظروف التي كان يعيشها ؟

3-ما مدى مساهمته في المنطقة ؟

4- في ما تمثل دور القديس أوغسطين في تطوير الديانةالمسيحية؟

5- ماهي الصراعات التي واجهها القديس أوغسطينعند نشرهلأفكاره؟

❖ **خطة البحث:**

للوصول الى تحقيق أهداف هذه الدراسة وتغطية أهم جوانبها توجب علي وضع خطةتتكون من ثلاث فصول، تطرقنا في الفصل التمهيدي :الحركة المسيحية و اضطهادهاببلاد المغرب القديم،يحتوي على بدايات دخول وانتشار المسحيه في بلاد المغرب والإضطهادات الرومانيه للمسيحيه،أماالفصل الأول :الحياة الإجتماعية للقديس أوغسطينوس تناولنا فيه

مسيرة حياة القديس أوغسطين و العوامل التي أثرت في تكوين شخصية القديس أوغسطين

و كذالك الأعمال التي قام بها القديس أوغسطين في تطوير الديانةالمسيحية.

وفي الأخير درسنا في الفصل الثاني : صراعات القديس أوغسطين في نشر الديانةالمسيحية،صراع أوغسطين مع الحركه الدوناتيه والدواريين، الغزو الوندالى

خاتمة.

❖ **المنهج المتبع:**

إستخدمنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي السردي،ووصفي"الغرض سرد أحداثا وقعت في الماضيمع وصفها وصف دقيق" وقد تخلل هذين المنهجين المنهج التحليلى الذي إقتضت الضرورة لتفسيربعض الأحداث.

❖ **الصعوبات:**

قلة المصادر والمراجع والدراسات المباشرةالمتعلقة بالموضوع مما إستلزم جهودا مضاعفة التكرار الذي لا تخلو منه جل المصادر والمراجع وعدم توثيق معلوماتها لتسهيل التأكد مما يجعلنا نتخلى عنها في عدة مرات لعدم منطقيتها.

❖ **المصادر والمراجع :**

لقد إعتمدنا في إنجاز دراستنا هذه على مجموعه من المصادر:

كتابات القديس أوغسطين " إعترافاتي –مدينة الله ".

أما في ما يخص المراجع فهي عديدةومتنوعة ، أثرت على جميع الجوانب من أبرزها

شارل أندري جوليان" تاريخ شمال إفريقيا "

روبين دانيال" أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا".

رؤوف شلبى أضواء على المسيحية "دراسة في أصول المسيحية ".

بالإضافة الى العديد من المراجع الهامةالتي لا يسعنا ذكرها جميعا ولكن بإمكاننا إظهارها في البيبليوغرافيا.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى الاستاذ المشرف د.محمد رشدي جراية والأستاذ عمر بوصبيع وكل من لم يبخل علينا في الاطلاع على ما بيده من مراجع.

الفصل التمهيدي :

الحركة المسيحية و اضطهادها ببلاد المغرب القديم

المبحث الأول : دخول و انتشار الديانة المسيحية

المبحث الثاني : الاضطهاد الرومان للمسيحيين

المبحث الأول : دخول و انتشار الديانة المسيحية

1 . بداية انتشارها :

إن ظهور الديانةالمسيحية في المغرب القديم مازال يكتنفه الغموض دلالة على كون هذا الدين جديد ظل غامض منذ ظهوره في فلسطين [1].

تعد سنة 180 للميلاد بداية التحول في عهد المسيحي لبلاد المغرب، قبل هذا التاريخ لا نمتلك عنه معلومات عن بداية المسحية في المغرب إلا ما ذكره " ترتليانوس"[2].

من النصوص القديمة التي سلطت الضوء عن دخول و توغل المسيحية في بلاد المغرب القديم نجد نصلعبد الرحمن بن خلدون الذي يرجع أصل وبداية الكنيسة في المنطقة إلى عهد الحواريين إذ يقول «إن الذي أرسل إلى روما من الحواريين هو بطرسو كان معه بولس من الأشياع لم يكن حواريا، عبر أرض السودان و الحبشة " منى العشار"و "اندراوس" إلى أرض بابل و الشرق، "توماس"، وأرسل الى أرض إفريقيا "فليبس" وإلى أرض برقة و البربر" شمعون الكنعاني" »[3]

---

[1] عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة و التطور(180- 410م)، إش محمد الصغير غانم، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة، جامتنوري، قسنطينة، 2010.2011، ص 70 .

[2] ترتليانوس : هوكرينتوسسبتموس فلورس ولد حوالي سنة 160للميلاد و عرف المسيحية سنة 193م هو من الأوائل كتبوا عن الكنسية توفي حوالي 225م، انظر: عادل فراج عبد المسيح، موسوعة أباء الكنسية، ج2، دار الثقافة، القاهرة مصر ص 155.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون،العبر و ديوان المبتدأ و الخبرفي معرفة ايام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، ج 2، بيروت 1968، ص 294.

وهنالك من المؤرخين منهم من رجح دخول المسيحية لبلاد المغرب نجد المؤرخ الفترة البيزنطية وهو "نيسيفوركاليكست " يعتقد بأن من قام بنشر المسيحية في مصر و قورينة[1] وطرابلس هو القديس "مرقس ".

وأيضا تشير عدد نصوص بأن من أرسل إلى "القورينه" اسمه " فليب "، و في الحين نجد ماتشير إليه وثيقة مرسلة من البابا " غريغوار الأكبر" يجيب فيها على التماس رسمي موجه الى المحكمة من قبل أساقفة نوميديا، يطالبونه فيها بالاحتفاظ بعاداتهم القديمة و منذ بداية التبشير الذي قام به القديس "بيير" أمير الحواريين[2].

لقد ذكر ايضا القديس أوغسطينوس سبب التأخر و معلل ذلك إلى التأخر في انتشارها في بلاد المغرب عن باقي العالم آنذاك :«يقال عنا بأننا كنا الأواخر وسنصير الأوائل، نعم لقد وصل الإنجيل متأخر إلى افريقيا، كما أن رسائل الحواريين لم تش إلى المنطقة التي قد تلفت العقيدة »[3]. لم يتم التأريخ للمسيحية إلا من خلال كتابات القديسين الأوائل الذين تميزوا بالثقافة العالية و القدرة على الجدال أمثال "ترتليانوس " و "قبريانوس"[4]وأن أقدم ذكر للمسيحين في المنطقة يعود إلى اضطهادات 180للميلاد.

---

[1] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص، ص 74-75.

[2]J PMesnage, Le Christianisme en Afrique (L'origine développement et extension),Alger Paris ,1914,PP,30-31.

[3]HENRI MARROU ,SAINT AUGUSTIN et l'augustinisme, éd., SEUL,Paris,1973,p.11et suiv.

[4]قبريانوس: ولد حوالي سنة 216 م بقرطاج من عائلة وثنية، واعتنق المسيحية حوالي سنة 246 م, و أنتخب أسقف لقرطاج سنة 249 م و عقد مجمع للمرتدين، توفي سنة 258م ترك عدة مؤلفات انظر الى عادل فراج عبد المسيح، المرجع السابق، ص 197 .

بهذا يبقى غموضا يلف و يكتنف حول بداية و أصل ونشر المسيحية لبلاد المغرب القديم، كيفية توغل في بداية كدين جديد، لكن و الأكيد و الوضح أن هذه الديانة قد لفها معتنقون المسيحية بنوع من التستر و التكتم و عدم إظهار إيمانهم بالمسيح في ظل ماجيك حولها في بداية من أحقاد و مكائد و محاربتها من طرف الوثنين و الرومان عدم تقبل الدين الجديد، أدى ذلك إلى اضطهادات كبرى لم يختصر ذلك في بلد المغرب فقط. لكن كان في موطنها و نشأتها الأول بفلسطين، مما أدى إلى تبني أسلوب النشر و عدم إظهارها ديانتهم للعلن و ممارسة طقوسهم في الخفى و نشرها بسرية تامة [1].

2- منافذ دخول المسيحية الى بلاد المغرب :

بحكم جغرافية بلاد المغرب ذات موقع مفتوح على عدة مناطق منها مصر شرقا، كذاك خضوعها للرومان. سهولة التواصل مع الشرق عن طريق الشرق عبر البحر، كما أن المنطقة بدأت تعرف الحركة تجارية بعد الاحتلال الروماني، بالإضافة إلى الظروف السياسية التي شهدتها في القرن الأول الميلادي بعد سياسة الاضطهادات التي مست النصارى الأوائل من قبل اليهود و الحكم الروماني وشهد ذلك في عهد الامبراطور" نيرون "[2] خلال سنة 70 للميلاد من اضطهاد الكبير في القدس والذي أدى تشتيت سكانها عبر مناطق متفرقة، بالإضافة إلى قابلية البعض لتقبل الديانة المسيحية الجديدة[3].

أ- دخول مسيحية عن طريق الشرق :

[1] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 76.

[2] Paul Monceaux Paul, les colonies Juives dans l'Afrique romaine, C.T.T.18,1970,p.17

[3]P,Monceaux H.L.A.C.T ,T, p17 .

لقد عرفت ليبيا التعدد الوثني الذي وصل إلى حد الفوضى، الأمر الذي جعل منها ميدنا ملائما و تربة صالحة، لتتقبل المسيحية كدين جديد، و انتشرت عند بعض الفئات كما ان المسيحية وجدت أيضا فرصتها للانتشار خاصة ان الحضارة و الثقافة اليونانية المتقدمة في اتحاد المدن الخمس، و التي عرفت بروز العديد من العلماء و الأدباء، الشيء الذي جعل المسيحية في هذه المنطقة و خاصة "قورينا"[1] كملهم فكر و فلسفي وليس مجرد طقوس و رموز و كنائس، وبالتاي المساهمة في تطور الفكر المسيحي[2].

لقد كانت المنطقة مفتوحة جغرافيا مع العالم القديم، مما سمح بحركة التنقل بسير، إما عبر البر عن مصر من الجهة الشرقية بالمقابل كان الدين الجديد قد أخذ في الانتشار، بل كان مسيحيو فلسطين وجنوب أوربا مندفعون و متحمسون لنشر الدين الجديد، حسب الكتاب المقدس فغن الليبيين كانوا على اتصال بهذا الدين منذ عهد المسيح عليه السلام ونجد ذلك في نص التي ذكرت بأن " بعض اللبيين كانوا في عداد الآلاف الذين آمنوا بالمسيح في تلك الأيام "[3].

بداية تبشير جاءت مع المبشرين الذين قدموا من آسيا قد باشروا دعواتهم من داخل البيع اليهودية داخل مدينة قرطاج وبعض المدن الساحلية بعيدة عن روما وأن هذا البيع قد شكلت أولى الكنائس المسيحية ظهر بين الديانتين، حيث وجدت داخل مقبرة اليهودية في "جمارت" قبور مسيحية هذا يبن بأن المسيحية الأولى في

[1] قورينا:تقع بالساحل الليبي الشرقي، بناها الإغريق كمستوطنة، في حدود سنة 631ق.م .ويذكر "هيرودوت" بأنها موقعها والتي هي بحسب الأسطورة اسم لفتاة إغريقية شغف بها الإله "أبولو"، وراح يجري وراءها منالیونان حتى ليبيا، منها انظر، عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، (أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)ج.، 1نشر تواليت، بلا. تا، ص160.

[2] عيسى محمد، معالم الأثار المسيحية المبكرة في ليبيا مجلة التراث الشعب، وزارة الثقافة، العدد6، 1993، ص2 .

[3] انجيل لوقا، فصل 2 ، فق 10 .

المنطقة قد احتضنها اليهود و فروا لدعاتها المجال الذي تنشط فيه في صفوف الأهالي، وكانت الإسكندرية رائجة التجارة و قريبة من فلسطين بذلك هيأت منفذ سهلا لهذه الديانة الجديدة و التي اعتنقتها طائفة اليهودية[1] .

كما أنه خلال الفترة الأولى نجد أن رجلت اسمه "سمعان" قدم من "قورينا" الليبية قد حمل الصليب وكان يلتقي بالناس، من مرجح أنه صار من المؤمنين، إذا أن ولديه " الإكسندروس" و "روخس" عرفا فيما بعد من بين الأصحاب، و بأن "مرقس" لقد كتب لهم الإنجيل[2] . ويروى « ان أناسا من ليبيا وقفوا لما جاءوا لحضور عيد الفصح في أورشاليم و هم يستمعون إلى بطرس الذي تلميذا للمسيح و رسوله أيضا، وهو يتكلم عن ضرورة الإيمان بالمسيح المخلص، وقد كان خلال ذلك اليوم حوالي ثلاثة آلاف من السامعين»[3].

وحسب ما جاء في المصدر اللاهوتي أيضا «فإن من بين هؤلاء الليبيين من تم تعميدهم ذلك اليوم قبل العودة إلى ليبيا حاملين معهم الإيمان لعلاتهم و لشعبهم، لم يكتفوا بليبيا فحسب بل حملوا بشارة الإنجيل معهم حيث ذهبوا» يظهر أن من القورينيين الذين اعتنقوا المسيحية كان من فئة من الرسل و المعلمين و مبشرين بهذا الدين خارج بلادهم منهم :"لوقيوس القيرواني" [4] .

ب- عن طريق التجارة :

لقد كانت قرطاجة مركزا تجاريا هاما ولها علاقات تجارية منذ القدم مع الشرق مع مناطق الشرقية منها قورينا و الاسكندرية و صور و صيدا، مع

---

[1] P ،Monceaux, H.L.A.C.,T ,T, p27.

[2] محمد مصطفى بازامه، المسيحية في ليبيا، مجلة الفصول الأربعة العدد4، طرابلس، 1978، ص ص، 22- 23.

[3] سفر أعمال الرسل ج 10.

[4] سفر أعمال الرسل، ج 20-41.

احتلال الروماني تحولت أرض أفريقيا المغذية لروما، وكانت المعاملات اليومية و بلا شك ما بين قرطاج و المجموعات اليهود و رومان، و التجار القادمين مختلف المناطق دور الخاص في الحراك السلوكي و الديني بين تلك المجموعات و تنتقل بينهم أخبار عن الدين الجديد و ما يحمله من قيم. و ايضا شكلت مدينة "قورينا" مرفأ تجاريا و مزدهرا كان يتبادل فيه اليهود و الفينيقيون مع السكان الأصلين و العديد من الزوار الذين قدموا منطقة حوض الأبيض المتوسط، وبلاش ك فإن ذلك كان له دوره في نقل الدين الجديد إلى المنطقة[1].

ج- عن طريق الرسل و المبشرين:

لم تختصر طرق انتقال الدينالمسييحي الجديد الى منطقة من خلال التجارة و بل أيضا كان بفضل الرسل و المبشرين الذين وفدوا من الشرق، فأن أثار أحد القديسين هو القديس " مرقس" و الذي يعود له أيضا الفضل حمل التبشير إلى مصر و قورينا، و طالت إقامته ببرقة، فقد جاء فارا من ظلم الرومان اتجاه القساوسة و الحواريين والتجأ هناك ليختبئ بأودية و الجبل الأخضر حتى يهدأ الوضع و يكف الرومان من لاحق بيه، يرجح قدموه الى ليبيا حوالي سنة 40للميلاد و فقد شيد "مرقس"[2] أول كنيسة ببرقة في حين نجد في أعمال الرسل.

[1] روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا(دراسة تاريخية من القرن الأولى القرون الوسطى)، ترسمير مالك دار منهل الحياة ن بيروت، 1999، ص47 .

[2]مرقس، هو يوحنا و يلقب بمرقس، لم يكن من الحواريين الاثنا عشر الذين تتلمذوا على يد عيسى عليه السلام، كانت أسرته تقيم بمدينة أورشليم وقت عيسى عليه السلام، وكانت من الأوائل الذين أجابوا دعوته، " انتقل إلى مصر وشمال إفريقيا في النصفالأول من القرن الأول للميلاد، وكتب الإنجيل باليونانية، اغتاله الوثنيون.انظر، رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، المكتبة العصرية، بيروت، 1975.

بأن أولأسقف في بلاد المغرب أول في برقة عموما كان " لوقيوس"القوريني في هذا يدل أن برقة او قورينا كانت لها صلة بالمسيحية منذ بداية انتشارها[1].

لقد شكلت هذه الديانة الجديدة حماسة للمؤمنين بها، وحسب بعض الروايات فإن معتنقي و أتباع المسيحية قدا باعوا ممتلكاتهم و وزعوها على المساكين والفقراء ثم تركوا منازلهم ليهتموا بالنشر و التبشير المسيحية قد نقلوا أخبار الرسل وأحضروا معهم نسخا لبعض أسفار الإنجيل التي أحضروها بأنفسهم، وكانت جلها مكتوبة باللغة اليونانية التي هي كانت اللغة مستعملة في التدوين و الكتابة في أولى الكتابات المسيحية في أفريقيا الشمالية[2] .

فإن الحركة التجارية بين مناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط ساعدت تنقل المبشرين، إن هؤلاء التجار كانوا غالبا ما يمرون على شواطئ التجارية من خلال رحلاتهم على طول الساحل و الموانئ، فتكون مراكبهم محمله البضائع المستوردة من قبرص و أورشليم و مدن السورية والاسكندرية،كما أنها تحمل السفن معها عدد كبير من المسافرين، و هؤلاء المسافرين فيهم عدد من المبشرين الذين كانوا يتنقلون بالخفاء دون معرفة هدفهم المنشود في نشر المسيحية[3].

مع مجهودات المبشرين و مع الزمن ازداد عدد المعتنقين لهذه الديانة الجديدة رغم ان نجهل عدد الذي تنصر في بداية التبشير في القرون الأولى من الميلاد لأن كان تبشير و تنقلهم في سرية تامة خوفا من الاضطهاد و التنكيل الممارس اتجاههم احيانا استفادوا من الوضع السائد في بعض من الأوقات من

[1] يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، مرقص داود، مكتبة الحكمة، مصر، 1999، ص27.

[2] روبين دانيال، المرجع السابق، ص 46.

[3] نفسه، ص 48.

الزمن وقانون السلم الروماني رغم الاضطهاد في بداية ظهوره ومنافسته للدين الوثني الذي هو الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية فقد كان الاباطرة ضد المسيحيين الأوائل من أمثال "نيرون" و " ترجان" في القرن الأول للميلاد [1].

لعل هذا الصمود أمام القمع و تعذيب الذي تلقوه معتنقو المسيحية جعل أعدادهم في تزايد مستمر حتى قال القديس ترتليانوس:" نجد جماهير كبيرة الكثرية تقريبا في كل مدينة، إنما نملأ الأرض و أعدادنا كبيرة في كل الأقاليم " .

فإن المسيحية قد انتشرت في بلاد المغرب القديم مع الرسل، لكنها ارتبطت فيمابعدا بحركة التوسع الروماني، كان ذلك بلا شك في ما بعد عندما تبتنها السلطة الرومانية كديانة رسمية في عهد الإمبراطور " قسطنطين CONSTANTIN[2]" سنة 312 للميلاد.

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 82.

[2] الإمبرطور قسطنطين: تولى العرش بعد وفاة بعد دقاليوناس حكم ما بين (306-336م)عرف عنه بالحنكة و الذكاء والدهاء السياسي وحكم قبل أدارة بلاد الغال قبل العودة الى روما وللقضاء على افتن يروى انه راء المسيح في منامه مما قرر تغير دينه انظر الى ادوارد جيبون اضمحلال الإمبرطورية الرومانية وسقوطها، تر:محمدعليأبودرة، ج1، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص 224.

المبحث الثاني : الاضطهاد الرومان للمسيحيين

1- الاضطهاد في عصر الأباطرة:

مع اعتنق سكان الاصليين المسيحية كدين جديد زادت الكراهية الوثنيين لهم ومارسوا معهم ابشع تعذيب لفظيا و جسديا، وهنالك من اخفى عقيدته جديدة بسبب اضطهاد و دفع ببعض المسيحيين على العودة عن دينهم خلال شدة القمع، لأسخط الوثنيين على المسيحيين بمباركة السلطة[1]، كانوا يرمونهم بالحجارة أو يحرقونهم هم و ممتلكاتهم هنالك من رجع الى الديانة الوثنية بسبب التعذيب ممارس اتجاههم بالرغم من الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون عدد كبير من ارتد، فإن عدد من يذهبون إلى الكناس خذ يتكاثر مما جعل الهياكل الوثنية تكاد تخلومن الزائرين [2].

في ممارسة القمع و التنكيل اتجاهه معتنقي الديانة المسيحية تختلف من الإمبراطور الى أخر فهنالك من سمح لهم بممارسة شعائرهم بشروط.كان المغرب القديم في هذا الاطار إذ تعرض مسيحيوه لسلسة من الاضطهادات خلال القرنين الاول و الثاني للميلاد، وقدم المغاربة العشرات من الشهداء خلا النصف الثاني من القرنين للميلاد، و بعد إحداث الدموية في بداية الحكم "كومودوس" بعد إعدامات 180 م على غرار ذلك تمكنت الكنسية إفريقية من أن تعيش فترة سلام على ديني نسبيا مقارنة مع الكنائس الأخرى في العالم المسيحي، لكن سنة 180م تعرض لاضطهاد كانت من الوثنيين قبل السلطة عكس ما شهادته مناطق الأخرى،يعود السبب للسلطة الرومانية التي تسمحت معهم في الأول مره، كما

[1] محمد محي الدين، افريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، د م، ط1، 1969، ص 109-111.

[2] نفسه، ص 111.

ذكرت فكنت الاضطهاد يختلف من حاكم الى أخر فقد عملوا على تطبيق قوانين الاضطهادية في افريقيا بالعموم سواء نوميديا او البيروقنصلية[1] .

أ- الحكم كومودس (175- 192م):

كان في عهده يحكم المقطعة افريقيا الرومانية البروقنصيل "فيجليوسساتورنيوس" أول من فتح عصر الاضطهاد في افريقيا الذي يظهر أنه نفذ به ما أمره به الإمبراطور السابق حيث طبق قانون الإعدام في حق المسيحيين الذين امتثلوا أمام محكمته عند رفضهم الرجوع للوثنية طبق الإعدام عليهم كان عددهم سبعة رجال و ثمانية نساء سنه 17 جويلية 180م[2].تم إقاف ايضا عدد كبير من المسيحين في نوميديا في 5 ديسمبر 188م و تم قطع رؤوسهم [3].

ب- حكم سبتموسسفيروس (193- 233م):

في فترة حكمه شهدت المنطقة بلاد المغرب اضطهادات عنيفة[4] بسبب حكم البروقناصلة عنصرين الذين قاموا بتوقيف المسيحيين ووضعهم في السجن حسب ما يروي ترتوليانوس فإن الرومان كانوا يرمون المؤمنيون في حلبة المصارعة و يتم تسلميهم للحيوانات المفترسة في مدرج قرطاجة تم رمي العديد من

[1] حميدة نشنش، رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313م من خلال ترتوليانوس و كبيريانوس، إش شافيه شارن مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ القديم، جاالجزائر، 2009/2008، ص 105 .

[2] نفسه، ص 105.

[3] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 104.

[4] مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، محمد الصغير غانم، مذكرة نيل شهادة الدكتورة، ج المتنوري، قسنطينة، 2010/2009، ص 454 .

المسحيين كان ذلك في 7 مارس 203 م أو يتم رجمهم في الشوارع و حرق منازلهم .

ج- حكم ترلوسسكويولام (211- 213) :

ازداد العنف في فترة حكمه إلى أضعاف و امتد اضطهاد ايضا أشده الى نوميدياوموريطانيا أي عم كل شمال إفريقي، من الذين تم تعذيبهم و قتلهم مافيلوسأومايلوس 11ماي 212 م [1].

د- حكم داسيوس (249- 251 م)

قبل تولي داسيوسإعتلاء العرش الروماني، كان الوضع قليل اضطراب لم يشهد اضطهاد عنيف لم يشهد اي موجة عنف في افريقيا لكن بحكم داسيوس رجع اضطهاد فقد اصدر مرسوم سنة 249 للميلاد حيث أمر المسيحيين التخلي عن دياناتهم و ان يشاركوا في احتفالات الرسمية،و من يرفض يتم ايقافه و قتله ما سبب اضطرابات دخل الكنيسة الإفريقية لإنه عدد كبير من تخلوا على الديانة المسيحية و اعتنقوا الوثنية بسبب التعذيب، فقد شهدت هذه الفترة العديد من المرتدين عن المسيحية رغم من أن الأسقف قبريانوس كان يحث المؤمنون بصبر عدم ترك الدين فقد اخبرهم انه عقاب الإلهي ضروري لإيقاضالإيمان[2].

و- حكم دقلديانوس (253- 260 م)

[1] حميدة شنشن، المرجع السابق، ص ص، 106- 107.

[2] نفسه، ص 109- 111.

بلغ إضطهاد أشده في بلاد المغرب طبعا مابين(255- 299 م) في فترة الحكم الإمبرطوردقلديانوس حيث اعتبر أن الديانة الوثنية هي الديانة الرسمية للامبرطورية فرفض المسيحيون القرار فنكل بيهم أشد تنكيل[1]، لقد كان العديد من الجنود ضد التعذيب فكثير من الجيش اعتنق المسيحية مما زاد تأزم الوضع، وسقط الكثير من الشهداء في نوميديا بسب محكم التفتش التي نصبها الامبرطور، فقد أمر بتهديم الكنائس و حرق الكتب المقدسة إلقاء القبض على رجال الدين من القساوسة و الرهبان و قد سمى عصره بعصر الشهداء مما خلفه اضطهاد كثير من قتله.[2] بعد وفاة الإمبراطور دقلديانوس الذي خلف وراءه اضطرابات في الإمبراطورية وانشقاقات داخلية تنهشها، وبعده تولي قسطنطين الاول الحكم عرفت فترته تحولا جذريا في الدين و المعتقد حرية ممارسة الدينية بعد اعلان الامبرطور مرسوم ميلانو عام 313م حياد الامبرطورية الرومانية تجاه شؤون الدينية و العيادة مما أزال العقباتالتعسفية أمام الممارسات الدينية المسيحية، وبهذا بعد نضال طويل من القساوسة و الأسقفة و سقوط شهداء من المؤمنين بالدين المسيحي نالت الكنيسة الحرية تم الاعتراف بالديانة المسيحية الرسمي من طرف الامبرطور[3] .

2- آثار الاضطهاد الديني

أ- مشكلة الرده :

[1] شارل ادري جوليان، تاريخ شمال افريقيا تونس الجزائر مغرب الأقصى منذ البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م، تر: محمد مزالي البشيربن سلامة، ب ط، بن سلامة دار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص ص 275-278.

[2] ادوارد جيبون، المرجع السابق، ص ص، 222-223 .

[3] نفسه، ص 399- 413.

مع اضطهاد المستمر من طرف الحكام الرومان في ارجاء الإمبراطورية عامة والمغرب خاصة نتج عنها انشقاق و خروج من الدين المسيحي و العودة للوثنية أو اظهار وثنيته للعلن مع إخفاء ايمانه بالمسيح، و زاد أمر تعقيد امام القساوسة والرهبان [1]، فقد اعتمدوا سنة الكنيسة فإن الكفر يوجب على صاحبه أن يتوب ولكن المذنبين كانوا من الكثرة بحيث اضطر رجال الكنيسة إلى تسير في احترام المبادئ التسير، فقد كانت رغبة أو خطة الأسقف تقضي ربح الوقت بتمديد فترة التوبة حتى يبت في ذلك مجمع من المجامع بعد انتهاء الاضطهادات.

غير أن الأحداث طغت على سياسة الإنتظار، فقد وجد المرتدون قساوسة يدخلونهم في حظيرة المؤمنين من دون تريث، و التجأ آخرون الذين أبلوا في دينهم البلاء الحسن أو إلى المرتدين فسلموا ذويهم بطاقات تشهد بدخلوهم الدين المسيحي من جديد و فرضوا على الأساقفة أن يقبلوهم في جماعة المؤمنين[2]، وهكذا فإن هؤلاء المرشدين واجهوا الكنيسة خلافا للنظام و السنن فوضعوا قانونا جديدا من دون اعتبار للنظام الداخلي و لا مراعاة الإجراءات العادية في سبيل معتقدهم يستمد قوته مما قدمه هؤلاء من تضحيات فأولئك الذين نالهم الأذى في أجسامهم من أجل معتقدهم و إيمانهم بالمسيح اعتبروا من حقهم أن يغفروا للمذنبين وكانوا أكثر شفقة نحوهم من الأسقف، وزاد تضامن المتطرفين مع انتهازيين المشكل تعقيدا فأضطر القديس "قبريانوس" إلى التراجع و سمح بأن يغفر للمرتدين الذين تعذبوا من اجل العقيدة المسيحية بطاقات الولاء الذين عرفوا كيف يتجنبون التصريح بالتغيرهم للدين [3] .

[1] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 126.

[2] شارل ادري جوليان، المرجع السابق، ص ص 282-283.

[3] نفسه، ص 283.

ب-انقسام الكنسيفي بلاد المغرب :

يعد اول انشقاق في الكنيسة الافريقية هو عند اتهامالقديس "قبريانوس"فقد وجه له اصابع اتهام أحد المرتدين "نوفوتاس"، الذي نتع القديس "قبريانوس" العدو الهدوء و السلم، ايضا اتهامه بسرقة مال الايتام و الارامل من مخازن الكنسية، ثم ذهب الى روما سنة251 م في نفس الفترة شكل مناوئين له و عددهم خمسة اسقافة و أعلنوا المعادة له، بخصوص صكوك التوبة التي تساهلوا في منحها[1].

عند عودته الى قرطاج من روما سنة 251 م لقد استقبلته المعارضة و اضطر إلى طردهم خمسة قساوس و شماس من الكنيسة[2]، بذلك خرجت جماعة من طوع الكنيسة الأم، فتحدث قطيعة و بذلك تظهر كنستان معديتان فقد عمد الأسقف "فيليمسون" بتكريس فكرة انشقاق وسارع للحصول على تأييد الكنيسة روما، ليوجه رسالة مضادة الى البابا كرنوليوس، يشرح فيها حقيقة غريمه و اتباعه المنبوذين من طرف الجماعة المسيحية ليتم فصله سنة 252 م[3].

في سنة 255 م جرى نقاش خطير في خصوص التعميد[4] الذي كان يقوم به للمنشقيين و المرتدين و أيضا المعتنقين المسيحية الجدد، ففي افريقية كان القوم يقمون بالتعميد جديد لك منشق،اما في روما فكانوا يقبلونه و كانوا يقتصرون على وضع أيديهم فوق المعتنقين للمسيحية ليجلبوا عناية الروح القدس، لكن "قبريانوس" المعتمد على مجمع قرطاج دخل في نقاش حاد جدا مع البابا "ايتيان"

[1] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص ص 126 -127.

[2] شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 283.

[3] عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 127.

[4] التعميد :هو إحتفال يقام عند دخول أحد المسيحية مما تعمل له طقوس، الغسل بالماء الذي يتكرر ثلاثة مراة ثم المس باليد الذي يصاحبه مسح بالزيت، أنضر الى شارل أندري جوليان، ص 153-154.

الذي انتهى بطرد "قبريانوس" من المسيحية و اعتبروه مخالف ليهم كان من ممكن أن يؤول هذا الخلاف بين الكنيستين إلى القطيعة لو لم يسمح موت البابا باسئناف العلاقات و لم يتخل الأفارقة عن عاداتهم إلا في عهد قسطنين اجتماع مجمع أرل سنة 314 م[1] .

[1]شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 283.

الفصل الأول :

الحياة الإجتماعية للقديس أوغسطينوس

المبحث الأول : مسيرة حياة القديس أوغسطين

المبحث الثاني : العوامل التي أثرت في تكوين شخصية القديس أوغسطين

المبحث الثالث: الأعمال التي قام بها القديس أوغسطين في تطوير الديانة المسيحية

المبحث الأول: مسيرة حياة القديس أوغسطين

1. التعريف بأوغسطين :

أــ مولده :

في 13 نوفمبر 354 م ولد القديس أورليوس أوغسطينوس[1] أو أغسطين أو أغستان **saint augustin** بمدينة[2] تاكستا[3] التي كان سكانها الأصليون وثنين [4].

ب ــ أسرته:

من أم مسيحية القديسة مونيكا في الحقيقة كان لها تأشير كبيرة على حياة إبنها في صباه، فقد أدخلته الكنيسة كشاب مبتدئ يتعلم مبادئ الكنيسة المسيحية، لكن أوغسطينوس فضل حياة الانطلاق و الحرية و طلب المتعة التي سجلها بكل مشاعر الإحساس بالذنب في كتابه إعترافاتي و من أب وثني باترينسبوس متشبثا بالوثنية القديمة إلا أنه لم يمنع زوجته من ممارسة دينها بل سمح لها كذلك بأن تعلم ولدها لكن أسرته ترومنت [5] كغيرها بالرغم أنه دافع على الهوية البربرية وكنعانية سامية في رسالة له إلى أهل روما يقول: " إذا سألتم أهل البوادي عندنا في نوميديا قالوا كنعانيون "[6].

---

[1] أوغسطينوس: معنى الامبراطور الصغير، أنظر الى القديس أوغسطين،إعترافاتي، ص 6.

[2] جميل حمداوي، الديانة عند الأمازيغ، ب ط، ب د، ب س، ص 17.

[3] تاكستا: الاسم القديم لمدينه سوق اهراس، أنظر الى كتاب جميل حمداوي، الديانه عند الأمازيغ، ص 17.

[4] القديس أوغسطين، إعترافاتي، ط2، تر : إبراهيم الغربي، مراجعة محمد الشاوش، دار التوزيع، 2015، ص60.

[5] الرومنه : الرومنة هي سياسة روما ازاء سكان الولايات التابعة لها لادماجهم في الحضارة الرومانية، أنظر الى مجلة الإتحاد العام ص 174.

[6] جون لوريمر، تاريخ الكنيسه، ج3، ط1، دار الثقافه، القاهر، 1298، ص187.

ج ــ لباسه :

كان أوغستينوس الذي يلقب في الأوساط الإيطالية بالإفريقي و كان فعلا أفريقيا أصيلا يلبس قميصا أبيضا من صوف كالذي يعرف بالكدرون في بلاد إفريقية، و كان على رأسه قلنسوة بيضاء و في رجليه نعل و كان يجوب المقاطعات الأفريقية من أدناها إلى أقصاها على ظهر حمار أو بغلة أو يجوبها على قدميه[1].

دــ وفاته : توفي أوغستينوس في سنة 29-08-430م في سن الخامس وسبعون بمدينةهيبو عنابة حاليا[2].

2. تعليمه ومهنته :

أــ تعليمه :

دخل المدرسة صغيرا حتى أكمل الثانية عشر من عمره في تاكسيتا [3] ثم انتقل الى مودروس منذ السادسة عشر أرسله أبوه ليدرس علم البيان و البلاغة في قرطاجة في أثناء وجده هناك اتخذ له محظية[4] معه لمدة 14 عام و هناك من يقول 15 عام و لقد ولدت له إبن اسمه adeodatus مما أصبح يطلق عليها بأم اديوداتوس" عطية الله " و كان حبيبا الى قلب أبيه أوغستينوس اكتسبه تميزا في دراسته للعلوم اللاتينية و التقليدية[5].

ب ــ مهنته :

سرعان ما عين أستاذ للبيان و البلاغة في مدينة "ثافستا" في قرطاجنة وإيطاليا و انتقل الى مدينة هيبو عنابة الحايا سنة 388 م حيث أقام فيها دير للتعبد و الاعتكاف الديني.

---

[1] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص6.

[2] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص17.

[3] جون لوريمر، المرجع السابق، ص17.

[4] محضيه : كان اجراء عاديا و مقبولا بين المسيحيين في ذلك العصر"زوجه غير شرعيه "أنضر الى مذكرة محمودي سميه، فلسفة التاريخ، لنيل شهادة الماستر، ص 7.

[5] جون لوريمر، المرجع السابق، ص17.

أخذ عدة مناصب دينية و في سنة 395 م عين في منصب أسقف مدينة **هيبو**[1] وبعد ذلك أصبح أبا الكنيسة اللاتينية هكذا و قد شبع أوغستينوس بالمعتقد المسيحي تأثرا بأمه القديسة مونيكا و تأثر كذلك بأسقف[2] ميلانو القديس AMBROISE امبرواز سنة 386م[3].

هذا و قد دافع أوغستينوس كثيرا على مبادئ المسيحية الكاثوليكية الرسمية التابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ووقفه في وجه الحركة الدوناتية ذات الملامح الثورية " الدوناتية " حركة دينية و اجتماعية و سياسية قامت بدور تاريخي عام ما بين 4 م و429م ظهرت في شمال افريقيا بالتحديد في نوميديا إلا بعد تبين الإمبراطورية الرومانية المسيحية دينا رسميا 391م مما كان خطيبا و كاتبا من طراز عال، فلم يتح للمسيحية أن رزقت زعيما في مرتبته قط[4]، سنتطرق إليه في الفصل الثاني.

و يعرف أوغستينوس بأنه في بداية حياته كان ماجنا متهتكا الا أنه تاب بعد ذلك وأصبح متدينا و زاهد متقشفا وبالتالي كان القديس أوغسطين ثاقب الذهن واسع الفكر غزير العلم ارتوى من مبادئ الديانة المسيحية فأصبح من أكبر القسيسين أو رجال الكنيسة الكاثوليكية[5] وقد كرس حياته الصالحة في مقاومة الزنادقة ومكافحة المذاهب الأخرى التي التي ما من شأنها تقف حجرة في سبيل تقدم الديانة المسيحية وكان يستعمل سائر الوسائل لمحاربة المذهب الدونادي الذي كان يرمي الكاثوليكيين بتسرب الى عقيدتهم الدينية كما كان يحارب المذهب المانكي[6] الآري الذي سينتحله فيما بعد القائد جسريق ملك الوندال

---

[1] هيبو : الاسم الجديد لمدينه عنابه، أنظر الى الكتاب جميل حمداوي الديانه عند الأمازيغ، ص 17

[2] اسقف : كلمة لاتينية مستمدة من كلمة اغريقية episcopes تعني الرقيب، أنظر الى عبد الحميد عمران،الديانه المسيحيه في المغرب النشأه والتطور، ص 50.

[3] شارل أندري جوليان، مرجع السابق، ص 305.

[4] نفسه، ص 306.

[5] الكاثوليكيه : هو مصطلح واسع يصف مجموع المؤمنين، ومؤسسات، وعقائد، ولاهوت، وقداس، وأخلاق، وقيم الروحية للكنيسة الرومانيّة الكاثوليكية، أنظر الى المجله العلاقات الخارجيه وأثرها على الوضع الداخلي، ص 214.

[6] المانكي : من العقائد الثنوية أي تقوم على معتقد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة، الموسوعة الحرة ويكبيديا.

على الرغم من ثقافة أوغسطين اللاتينية فانه كان يقدم [1] قداسة ومواعظة باللغة المحلية أو الفينيقية لأن في شمال إفريقيا كانوا يجهلون اللغة اللاتينية لكونها لغة مثقفين الذين درسوا بروما وأصبحوا من مؤيدي الحكومة الرومانية بل كانوا يرفضونها لأنها لغة المستعمر وكان الهدف من نشرها في الأوساط البربرية هو العمل على نشر سياسة الرومنة.[2]

و في هذا يقول الأستاذ حسن السايح :

" و على الرغم من هذا التأشير الروماني فقد ظل الشعب مغاربي يتكلم، و يحدثنا القديس أوغستينوس" و هو أحد رجال الدين مغاربة، يستحيل أن يلقي قداسة باللغة اللاتينية " لأن معظم الناس يستمعون إليه لا يعرفون حرفا واحدا من اللاتينية و إنما كانوا يعرفون اللغة الفينيقية التي كانت منتشرة إنتشار واسع، كذا قد كان أوغسطينوس شخصا ثاقب الذهن مثقف وفيلسوف لاهوتيا، لم يستطع أحد أن يصل الى مستوى هذا العالم إبان العصر القديم فقد إمتلك ثقافة لاتينية عميقة وواسعة المدارك متنوعة المستويات و المفاصل ومن جهة أخرى فقد ترك لنا أوغسطين نظرية فلسفية دينية متكاملة مازالت تدرس وتناقش ليومنا هذا في الملتقيات اللاهوتية و الفكرية تحت اسم الأوغسطينية.[3]

3. شهرته:

نعلم تاريخيا لا وجدانيا أن أوغسطين لعب دورا عجيبا و حاسما أكثر من معاصريه من أباء الكنيسة والمؤسسين لها كـــأمبرواز و جيروم وأوريجان[4] وغيرهم من توطيد دعائم المؤسسات الكاثوليكية و بلورة المعتقدات و تثبيت طقوسها و كان داعيا و أستاذا غرس المسيحية في نفوس البرابرة و رسخ الإيمان فيهم بل تجاوز حدود افريقية الى

---

[1] محمد محي الدين المشرفي، افريقيا الشمالية في العصور القديمة، ط 4، 1969، دار الكتب العربية، ب مك، 1969، ص 102.

[2] محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 102.

[3] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 17 .

[4] جون لوريمر، المرجع السابق، ص186.

أوسع رقعة ممكنة في العالم، وقد نظر للعقيدة و أطر المذهب و شرح الكتب المنزلة وبث الوعي والأدب فكان له دور أساسي في إرساء قواعد كاثوليكية الكونية الصلبة بقيت كما هي فقد وقف على الصعيد الفاصل بين العالمين العالم القديم الكلاسيكي أوشك على الاختفاء و عالم العصور الوسطى يمكن القول بأن أوغستين أبو كل الكاثوليكية في العصور الوسطى.

المبحث الثاني : مراحل التي أثرت في تكوين شخصيته

1ــ التحولات الفكرية :

أــ الصراع الذهني و الأخلاقي:

تميزت سنوات الشباب هذه بالصراع العقلي والأدبي العنيف فقد حولت قراءاته لشيشرون[1]" القانوني و الفيلسوف الروماني "

و كذلك دراسة الأسفار المقدسة لكنه شعر الكتاب المقدس أدنى من العلوم اللاتينية التقليدية[2]

ب ــ أوغسطين و المانوية :

تعتبر من المذاهب ذات شعبية واسعة التي يترأسها ماني الذي عاش في القرن الثالث ميلادي الذي ادعى نزول الوحي[3]، وهي ديانة تأثرت بالمسيحية واليهودية تعتقد أن المعرفة تقود إلى الخلاص .

ظل الشاب أوغسطين لمده تابعا أمينا للعقيدة المانوية فقد رافقته فلسفيا و أدبيا.

لقد كانت الحياة لدى المانويين عبارة عن صراع بين الخير و الشر، النور والظلام، في الواقع التي إعتبرت المانويين في شمال افريقيا مسيحيين فقد اقتبسوا من كتب الأبوكريفا عن حياة الرسل و أيضا من أجزاء من رسائل بولس و ذلك فانتمائه الى المانوية لم يشعر أنه خرج من المسيحية بل كانت أعلى درجة و أكثر منطقية منها و لقد

---

[1] شيشرون : خطيب وسياسي وكاتب روماني 106 ــ43 ق م أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفه، ج 2، ص137.

[2] جون لوريمر، المرجع السابق، ص187.

[3] عقون محمد العربي، من أعلام المغرب العربي الكبير القديس أوغسطين، الحوار الفكري، العدد 03، جا منتوري، قسنطينة، جوان 2002، ص 122.

نجح في تحويل بعض أصدقائه الى الايمان بالعقيدة المانوية و لكنه تدريجيا وجد عيوبا في التعليم المانوي.

عندما انتقل من قرطاجنة الى روما في عام 383 م صار أكثر شكا بالمانوية كان اهتمامه بالأفلاطونية [1] الحديثة ينمو و يزداد [2].

الأفلاطونية المحدثة : تتميز بأبعادها الروحية المتعالية و جعلت الكثير من الفلاسفة يربطون تعاليمها بالمسيحية وعلى رأسهم القديس أوغسطين حيث قرأ الكتب الأفلاطونية المحدثو و هو يتحدث حديثا كله إعجاب لكنه لا يذكر أسماء[3]،الذين أشاروا عاطفة الاعجاب عنده و ليس من الشك في أنه يشير الى الأفلاطونية وهو الذي يعجب كل الاعجاب بها والعامل الأساسي الذي جعله يعجب بالافلاطونية المحدثة وجود نزعة عقلية و رأى أنه تتفق تماما مع العقائد المسيحية حيث أخذ أوغسطين العديد من أفكار الأفلاطونية، وذلك تلقيحها وجعلها تتناسب مع الفكر المسيحي، و قد أدت الكتابة الأدبية التي قرأها و لعلها من كتابات بلوتينوس و بورفيري، أخيرا الى احتنابه بعيدا عن المانوية كما غيرت في فكره من الواقع و الحقيقة فرأى الله المصدر الوحيد للحقيقة و رأى في الشر ابتعاد عن الصلاح و رفضها لارادة الله معرفة الله هي أسمى البركات من خلال تأشير هذه الأفلاطونية الحديثة، إستطاع أوغستين أن يعتبر انه مرة أخرى مسيحيا [4].

---

[1] أفلاطون : فيلسوف يوناني "427.347 ق م "أنظر إلى مذكرة لنيل شهادة الماستر، محمودي سمية . بوسريه أسماء، فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين، ص 8.

[2] محمودي سميه . بوسريه أسماء، فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين، إش: بن غزاله محمد الصديق، مذكره لنيل شهادة الماستر، جا قاصدي مرباح، ورقله، ص8.

[3] مزواد نسيبة، فلسفة الحضارة في القديم، مذكره ماجستير، ج باتنة، 2011.2012، ص 18.

[4] نفسه، ص18.

ج ــ أوغسطين و أمبروسيوس :

أمبروسيوس: ولد في أسرة مسيحية أباه حاكم بلاد الغال له قصر في تريف والدته تملك قصر في روما كان ملتصق كثيرا بأخيه ساتيروس وبأخيه مارسيلينا .

لقد درس أمبروسيوسوس اتيروس القانون .... ذهب الى ميلانو ليقضي بقية حياته،[1] في عام 384 م انتقل أوغسطين الى ميلانو حيث إستمع و انتقلت أمه مونيكا الى ميلانو وحثته أن يتخلى على محظيته و سيتزوج من أخرى قانونيا و تم عقد الزواج لكنه لم يعاشرها هنا دخل أوغسطين أقسى أزمات حياته و أكثرها يأسا فإذا كانت الأفلاطونية قد فلحت في إقناعه بالمسيحية فقد ظل يشعر بالإنجذاب نحو مغريات العالم " المتعة، المال، المجد، المركز "[2] لم تكن هناك دموع الاعتراف و لا الخضوع له و لا التواضع و لا الدعوة الى الاقتداء بالمسيح وقد قال في احدى رسائله " في كل الجوانب أريتني و أوضحت لي أن كلماتك حق و أنا اذا تديني الحقيقة و الحق ليس لدى ما أجيب به سوى الكلمات البسيطة المتكاملة الآن".

2 ــ صراع أوغسطين الروحي :

كان أوغسطين إحدى الأيام مع صديقة ألبيوس[3] في حديقة خارج ميلانو وهذه فقرة من اعترافاته " هناك هبت في داخلي عاصفة عاتية مفجرة .. الدمع من عين فلكي أسكبها سكيبا مع ما يصحبها من صراخ و نحيب ".

انفردت عن اليبيوس بعيدا في خلوة وحدي حتى لا يجد قرية من مشاعري و انطرحت تحت شجرتين و أرخيت لدموعي العنان و أصبحت مع المرئم الى متى يا رب تحجب

---

[1] جون لوريمر، المرجع السابق، ص188.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص305.

[3] أليبيوس: أسقف للمدينة النوميدية في 394مكان له أيضا الفضل في بناء الدير الأول في إفريقيا، أنظر الى ويكبيديا الموسوعة الحرة.

وجهك عني الى متى يا رب تغضب علي ؟ الى متى و متى الى غدا و غدا ؟ لماذا ليس الآن لا تجعل من هذه الساعة نهاية نجاستي ؟[1].

نطقت بهذه الكلمات حين إجهاشي بالبكاء من شدة انسحاق قلبي بمرارة، و ما أن صوتها يخرج من بيت مجاور كأنه صوت صبي أو صبية لا أدري يغني و يكرر قائلا : خذ واقرأ خذ و اقرأ و من ثم جست سيل دموعي، مفسرا ذلك بأنه ليس إلا صوتا إلهيا يأمرني بأن أفتح الكتاب المقدس و أقرأ أول فصل يقع عليه بصري لأني كنت قد سمعت أنطونيوس دخل الكنيسة أثناء قراءة الانجيل فسمع العبارة التي اتخذها كلمة خاصة له و كانت تقول " اذهب و بع أملاكك و أعط الفقراء يكون لك كنز في السماء وتعال إتبعني".

ذلك تم تجديده فورا وقد أمسكه الكتاب و قرأ أول ما وقع عليه نظري لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع و العهر لا بالخصام و الحسد بل إلبسوا الرب اليسوع المسيح ولا تضعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات [2].

و هناك من يقول فتح الانجيل في رسالة رومية صحاح 13 عدد 11:

" هذا و انكم عارفون الوقت انما الآن ساعة لنستيقظ من النوم فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حينا أمنا قد تناها الليل فتقاربا النهار فتخلع أعمال الظلماء و نلبس أسلحة النور " ولم أقرأ سواها و لا رأيت نفسي في حاجة الى أكثر منها ففي لحظة الانتهاء من قراءة هذه الجملة أحسست قلبي كأنما قد غمره شهاب من نور السلام وومضة من شمس البر اختفت كل ضلال الشك و ذابت .

[1] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص12-29.

[2] الانجيل، يوحنا الاصحاح (13)، ص 05.

و هكذا فان قصة اختيار التجديد هذه شبيهة بقصة تجديد بولس الرسول في الطريق الى دمشق و قد تم تجديد أوغسطين ممتدحا ما حدث له [1].

أحببتك يا الهي متأخرا أيها الجمال أنت القديم و أنت الجديد متأخرا ما كنت أنت في الداخل لكني كنت في الخارج و هناك أبحث عنك و في حسن خليقتك أغرقت نفسي في قباحتي لأنك كنت معي و أنا لم أكن معك أنت دعوتني بصوت عال فنفذت صميمي، أضأت لي و أشرقت بنورك لتطرد عني عمى بصيرتي أنت نسمة الحياة و أنا تنفست النسمة و أرجعت أنفاسي إليك أنت لمستني و أنا أكتوي في سبيل السلام اذا كنت أنا بكل ما في داخلي يمكن أن أعيش مرة فيك إذن ليتركني العذاب وهجرتني المتاعب عندما أمتلئ منك تماما يصبح كل شيء حياة بالنسبة لي ولنذكر منها أشهر كلمات أوغسطين " لا يستريح قلب إنسان حتى يجد راحته فيك"[2].

3 ــ أوغسطين في أسقف هيبو :

استقال أوغسطينوس على الفور من وظيفته كمدرس و انسحب لبضعة شهور مع فريق من أقرب أصدقائه و بدأ بعيد النظر عن فلسفته على فور اختيار تجديده، و هنا كتب بعض رسائله الأولى مقدما إجابات مسيحية أساسية على أسئلة فلاسفة الأفلاطونية الحديثة، عند حلول عيد القيامة في عام 387م عمده أمبروسيوس مع ابنه اديوتاتوس وصديقه أليبيوس وخطط آنذاك للعودة الى ثافستا لكن موت أمه أعاقه بعض الوقت .

إن وصف أوغسطين عن هذه المأساة الشخصية هي إحدى أنبل الوثائق و أروعها في الأدب المسيحي [3].

---

[1] جون لورمير، المرجع السابق، ص188.

[2] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص 12–19.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 305.

و أخيرا عند وصوله الى ثافستا قضى السنوات الأربع التالية بعيد النظر في أرائه اللاهوتية كما نظم شكلا لا مانويا لحياة الرهبنة و حاول إقناع أصدقائه الذين سبق ان ربحهم للمانوية لكي يعودوا الآن الى الكنيسة في ثافستا ذاق ألم الفراق مرة أخرى في موت اديوداتوس.

عام 391 م ازدادت شهرة أوغسطين الى درجة أصبح قسيسا في هيبوو كانت تلك رغبته بعد أربع سنوات رسم أسقفا شريكا في كنيسة هيبو القريبة من قرطاجنة و لما مات فاليريان المتقدم في العمر أصبح أوغسطين الأسقف الوحيد[1].

4. زعامة اوغسطين في هيبو :

ظل أوغسطين يخدم في هيبو لمدة 35 سنة حتى وفاته في عام 430 م فجعل من هيبو مركز فكريا ثقافيا لكل الكنيسة الغربية، مؤسسات ديرا صار مدرسة لتعليم رجال الاكليروس، بعد عدة سنوات أصبح هذا الدير مركز النظام الرهبنة لأغسطينوس نفسه في حياته وكان يفصل حياة التأمل، لكنه أيضا كان مكرسا لخدمة الفقراء في إحدى المناسبات باع أواني الكنيسة ليفتدي سجناء من السجن، و يسب حماسته بكل الأمور اللاهوتية و الكنيسة ويفضل مواهبه المتميزة الفريدة فانه فسرعان ما صار الرأس المفكر للكنيسة الغربية [2] و كما قال عنه فيليب سكاف في أوغسطينوس تركزت كل قوة الجدال و الحوار الكاثوليكية في ذلك العصر ضد المراهقات و الشقاق و به نالت الكنيسة النصرة عليه[3] .

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص305.

[2] رجائي ريان، مدخل لدراسة التاريخ، بن رشد، عمان، 2001، ص99 .

[3] جون لورمير، المرجع السابق، ص 188.

المبحث الثالث : الأعمال التى قام بها أوغسطين في تطوير الديانة المسيحية

1ــ مؤلفاته :

ترك القديس أوغســـطين مؤلفات جملة تتجاوز المائتي رسالة والخمس مائة موعظة ومائة وثلاثة وعشر مطوية ، ضاع قسم كبير منها وهي موضوعة بلاتينية إشتهرت بالبلاغة والبيان وتنقسم تلك الآثار إلى قطاعات أهمها القطاع الديني الذي طغى على سائرها ومن أهم كتب أوغســـطين :

اعتراضي ومدينة الله والثالوث المقدس والنعمة وتبقى سيرته اعترافاتي.[1]

أ. إعترافاتي :

من حسن الحظ أن لدينا قصة حياة أوغسطين في هذه المؤلفات "وهي مكتوبة في شكل صلاة طويلة لله، صيغت جزئياً على نمط المزامير،[2] وتعبر عن الكثير من الفكر اللاهوتي لأوغســـطين" أحد الكتاب سماه صورة كائن بشري ثابتاً الأركان، الذي في محضره تسقط حواجز الزمان والمكان لكي تظهر إنساناً قريباً من كل الوجوه من أنفسنا، كائن متفرد الآن في تاريخ البشرية لكنه مكسو بفضائل وعيوب الجنس البشري.[3]

وقد قال الأمريكي وليم جيمس "فيلسوف القرن التاسع عشر عن أوغســـطين أول إنسان عصري".ذات طابع ديني يشتبك بالطابع التاريخي، حيث يقدم فيه الكتاب إعترافاته بكل صدق وصراحة، ويفصل حياته الغربية، ويوضح إنسياقه وراء الشهوات رسمياً في

---

[1] صديقي دنيا بومعيزة ياسمينة، النخبة الفكرية في المغرب القديم، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جا 8 ماي 1945، قالمة، ص 39.

[2] عائشه سعدان. نصيره بالى، المظاهر الفكرية المغاربية من قرن 4 م الى قرن 5 م، إش السعيد شلالقه، جا حمه لخضر، الوادي، 2016.2017، ص55.

[3] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص9 .

قرطاج، ويبين لنا كيف عرفه الله وكيف انتقل بعد ذلك إلى فكر المسيحي[1]، كما يكشف لنا تصوره وموقفه من الصراع العقائدي والإجتماعي والتاريخي الذي كان يعيش فيه أوغســـطين إبان مرحلة الصراعات.

في الأخير يدعو إلى سلام الروح ومحبة الإله والإرتماء في أحضان الرب من أجل الإستراحة، ومن المعروف أن هذه الكتاب قد صنف مابين 391 و 400م في حياة الكاتب أوغسطين بينما لم يكتب كتاب "مدينة الله والثالوث المقدس إلا بعد وفاته بالضبط في 400م.

ومن أهم مميزات هذا الكتاب "كتب بطريقة شاعرية روحانية وجدانية يستقطر فيها الكاتب دموع المعاصي والذنوب ليعوضها براحة التوبة والغفران، مقابلاً بين الحياة والموت والدنيا والآخرة.[2]

ب. مدينة الله:

حيث وضعه في حقبة مأسوية من التاريخ أوروبا، ذلك أن روما سقطت سنة 410 م بيد البراءة وولد دمار تلك المدينة التي كانت تعتبر عاصمة الدنيا، وكتاب مدينة الله كان رداً على الإعتقاد وآلهة التي تخلت عنها روما، هكذا شرع أوغســـطين يكتبه منذ عام 413-426م [3].

[1] عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص 122.

[2] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص 9.

[3] عقون محمود العربي، المرجع السابق، ص 122.

"يشتمل على اثنين وعشرون فصلاً، مما كان يحمل فكرة الخطيئة والحكم الحر، ولاهوتية التاريخ ولا بد أن نذكر أن أوغســـطين قد حارب الدوناتيه[1] والمانيكية والأريه[2] والبيلاجية واليهودية، وحاول في كتابه التوفيق بين العقل والإيمان ويعالج المعتقد المسيحي الذي يتمثل في الثالوث أو التليث أو الثالوث الأقدس ضمن التصور المسيحي الكاثوليكي ويلخص أوغســـطين الهدف من تأليفه "الكتب الأربع من هذه الإثني عشر كتاباً تصف ميلاد مدينتين، مدينة الله ومدينة العالم، والكتب الأربعة التي تعرض تقدمها والكتب الأربعة التي تعرض ".[3]

الثالوث الأقدسي:

يلاحظ على هذا الكتاب أنه لم يجمع ويستكمل إلا بعد وفاة القديس أوغســـطين وذلك في سنة 400م يعالج المعتقد المسيحي الكاثوليكي أي أن الكتاب يدرس التصور المسيحي الذي يشخص الرب في ثلاث أشخاص "الأب، الإبن، روح القدس" متميزة ومتساوي ومنصهرة في طبيعة واحدة.

محاور المعلم:[4]

هو مجموعة من المحاورات الفلسفية التي كتبها أوغســـطين في أول مرة عهده بالتفكير الفلسفي 389م، يقول البناء الداخلي للمحاورة على حدس فلسفي ذي جوانب ثلاثة[1]:

---

[1] الدوناتيه : هي حركة ثورية اجتماعية أسسها الراهب دوناتوس ظهرت سنة 311م، وهي حركة دينية كانت في بدايتها عبارة عن انشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية وقامت ضد الاحتلال الروماني دولة وكنيسة، ومن أهم نتائجها تجاوز المقاومة العسكرية إلى النضال الديني والاجتماعي. لمزيد من المعلومات أنظر: شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص295-305.

[2] أوغسطين، مدينة الله، تر الخور أسقف يوحنا الحلو، مج 3، ط2، دار الشروق، بيروت، ص8

[3] J.F Petit., Saint Augustine, our contemporary:Readings in the 20th century, Bayard jeunesse, Paris, 2015, pp120 .

[4] صديقي دنيا بومعيزة ياسمينة، المرجع السابق، ص 40.

أولاً: حدود اللغة وقصورها على إيصالها الحقيقة وعجزها على أن تقوم بدورها كوسيلة للتعلم أو التعليم أي أن القديس أوغســـطين يقوم بنفي ما هو متعارف عليه من الآن ويصحح الخطأ الشائع الذي ينفيه الكثير صواباً وهو ما ينشئ عن العادة والعرف.

ثانياً : يضع أسس نظرية الإشراقية في كشف حقائق بنور داخلي وإتصال مباشر بالموضوعات.

ثالثاً: تصبح اللغة عند أوغســـطين دليلاً على وجود الله ويصبح الله عنده باطناً في النفس ويظهر من خلاله حدس الفيلسوف هو في أساسه حدس ديني ورؤيته الفلسفية هي رؤية دينية.

ومن أشهر مؤلفات أوغســـطين في الجدل :

1- مؤلفات ضد الشكاك:

1-1 ضد الأكاديميين : حيث يرد فيه دعاوي الشكاك الأكاديميين لأنها في اعتقادهم مذهب يحول دون معرفة الحق، وعن مصدر السعادة العظمى.

1-2 أعمال ضد المانويين: ومن أهمها أعمال ضد فيليكس المانوي أعمال ضد فورتوناتوس المانوي.[2]

1-3 مؤلفات ضد الدوناتيين : من أهمها مؤتمر قرطاج ضد كاودتنيوس، ضد رسالة بارمينيان العميد ضد الدوناتيين، مزمور ضد الدوناتيين.

1-4 مؤلفات ضد بيلاجيوس: ضد يوليانوس، النفس وأصولها، أعمال ضد بيلاجبيوس.[1]

---

[1] نفسه، ص 41.

[2] صديقي دنيا بومعيزة ياسمينة، المرجع السابق، ص 41.

2-كتب في المنطق الصوري: وهي ثلاث مبادئ الريطوريقا إلا أن الباحثين يشرون بأن الكتابين الأول والثاني منحولان أما الكتاب الثالث فهناك شواهد تبرز نسبة إلى أوغســـطين

– لقد إشتهر بأسلوبه الخاص الذي تميز باللغة البيانية الرائعة ذات متانة، كما يلاحظ العناية بالشكل والصيانة مما يجعل أسلوبه متصف بالترداد والإستطراد ولا سيما الإستعارات والصور البلاغية الكثيرة لكن الشائع أيضاً أنه يبالغ في التصوير.[2]

2. القديس أوغســـطين ومنهجه في دراسة التاريخ :

قبل أن يبدأ القديس أوغســـطين بتحديد خطوات منهج التاريخ بدءاً أولاً بمعالجة التاريخ معالجة لاهوتية وكذلك قام بتحديد أمرين هما في غاية الأهمية في مجال التاريخ في سيطرت العقيدة عليه .[3]

ونعني بهما علاقة التاريخ كمعرفة بالعقيدة والحقيقة التاريخية وهما ما نبدأ بدراستها قبل الخوض في خطوات منهج التاريخ عند أوغســـطين.

أ. التاريخ عند أوغســـطين :

- **العلاقة بين التاريخ والعقيدة :**

فقد شغل التاريخ بوصفه علم مكانة كبيرة في فكر أوغســـطين إذ تصور أن ثمة علاقة نفعية تبادلية بينه وبين العقيدة المسيحية.

ويرى أوغســـطين أنه يمكن توظيف التاريخ بعدة طرق لإبراز قيمة مسيحية والدفاع عنها، أي أنه وظف التاريخ من أجل إثبات الحدث الديني العقائدي.

---

[1] نفسه، ص42.

[2] صديقي دنيا بومعيزة ياسمينة، المرجع السابق، ص 42.

[3] ــزينب محمود الخضيري، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، د ط، دار قباء، القاهرة، 1997، ص58.

فقد شغل التاريخ بوصفه علم مكانة كبيرة في فكر أوغســطين إذ تصور أن ثمة علاقة نفعية تبادلية بينه وبين العقيدة المسيحية ويرى أوغســطين أنه يمكن توظيف التاريخ بعدة طرق لإبراز قيمة مسيحية والدفاع عنها، أي أنه وظف التاريخ من أجل إثبات الحدث الديني العقائدي.

فإذا كان تميز المسيحية عن الوثنية أن الثانية دعمتها الأسطورة أما الأول فدعمها التاريخ؛

فالعقيدة وحدها التي تخبرنا بأن العالم بدأ بالخلق وبأنه سينتهي باليوم الأخير هي التي تقدم لنا تفسير التاريخ وبلورة هذا التفسير عند أوغســـطين يظنه الباحثين فلسفة التاريخ ويعده البعض الآخر لاهوت التاريخ.[1]

ومنه فإن مبادئ تفسير التاريخ في مذهبه لا تستمد من التاريخ البشري نفسه وهو الشرط الضروري لقيام فلسفة للتاريخ بل تستمد من مجال له هو العقيدة عند أوغســطين بدورها مؤسسة الله.

إذا هناك علاقة تبادلية بين التاريخ والعقيدة وذلك أن كل منهما يدافع عن الآخر وأن العقيدة المسيحية جذورها منغرسة في التاريخ لقد جعل القديس أوغســطين التاريخ يفيد العقيدة وجعلها هي كذلك تفيده فهي توضح له صيرورته، وتحدد نهاية أو غاية.

- **الحقيقة التاريخية :**

إن علاقة التاريخ بالعقيدة عند القديس أوغســطين لها أثر كبير على مفهوم الحقيقة التاريخية.[2]

[1] زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص 59-60.

[2] نفسه، ص 59-60.

فقال أوغســـــطين مدركاً لخصوصية التصور المسيحي للحقيقة التاريخية وللصعوبات التي يواجهها الباحث أي الحقيقة التاريخية هي المقدمة التي ينطلق منها ويبذل جهد لإثباتها ويرى أغســـــطين أن الواقع والأحزان التاريخية موجودة في الكتاب المقدس هي كل الحقيقة التاريخية وإن أحداث الماضي والحاضر رموز تحتاج لتأويل من قبل المؤرخ لتكشف له عن الحقيقة الكلية، وما هذه الحقيقة إلا حقيقة كل تاريخ البشرية منذ الخلق حتى اليوم الآخر بل وحتى الأبد فالتاريخ الظاهري هو رمز التاريخ الباطني أو المقدس يفسر التاريخ الظاهري ومن هنا نقول أن الحقيقة التاريخية هي مقدمة التي تنطلق منها بشكل متسلسل فإن أوغسطين يرى أن على المؤرخ بذل جهد في الترتيب الزمني للأحداث "بنوة عابر لسام"[1].

التي يقول فيها أوغســـطين : إن عابر هذا لا يعقل أن يكون إبناً لسام بل هو أحد أفراد الجيل الخامس من ذريته وما ذكره الله قبل سائر الذرية سام إلا ليؤكد على أن أوغســـطين حقبة تاريخية ليبرز أمراً.

لقد أراد أغســـطين أن بين لنا أن الكتاب المقدس لا يلتزم برتيب الأحداث وأن المؤرخ هو الذي يعطي جهداً لإعادة ترتيبه ولقد بذل القديس أوغســـطين جهداً وذلك لتتبعه للتاريخ ودرجة توافقه ما جاء في الكتاب ومثال ذلك: أن الكتاب المقدس يتعرض لمسائل غير مراعي لترتيبها الزمني فيعيد أغســـطين في كتاب مدينة الله ترتيبها.[2]

- **النقد التاريخي :**

"أما الأخذ بالنقد التاريخي فيتضح في رفض أوغســـطين صراحة وبكل جرأة لبعض الروايات التاريخية الكتاب المقدس"

---

[1] أوغسطين "مدينه الله "، المرجع السابق، ص 12- 29 .

[2] نفسه ، ص 12.

فقد رفض أوغســـطين بعض الروايات في الكتاب المقدس لأنه تعارض في منطق ومنها ما رواه الكتاب عن بناء قابيل أو ابنه مدينة بأكملها وعلى أوغســـطين رفض بناء المدينة بحكم تعريفها هي مجموعة من الناس تربط بينهم صلات اجتماعية وهو ما يتنافى مع الكون ففرد الواحد هو الذي بناها

إذن يمكن القول أن القديس أوغســـطين في هذه الخطوة أراد أن يبين لنا أن النقد التاريخي يتخذ الصراحة والجرأة في بعض الروايات وهذا ما جعل المنطق يرفض كل ما جاء في الكتاب المقدس كما نجد نقد القديس أوغســـطين ما جاء يذكر أن قابيل وابنه تمكنا لوحدهما من بناء مدينة بأكملها ما نراه هنا تناقض.[1]

ب. التأويل الرمزي أو التفسيري المجازي:

أما أهم الخطوات المنهجية التاريخية والتي برع أوغســـطين في إستخدامها إلى أبعد الحدود فهي التأويل الرمزي المعتمد على التحليل اللغوي ولقد جعلت هذه الخطوة آخر الخطوات المنهج الأوغسطيني لأن أوغســـطين كان يلجأ إليها في حالة عجز الخطوات السابقة "سد الثغرات وإعادة ترتيب للأحداق والنقد التاريخي".

عن حل المشكلة التي يواجهها وأن أوغســـطين كان يستخدم هذه الخطوة في دراسته للنصوص التاريخية الواردة في الكتاب المقدس ويبين لنا أوغســـطين أنه لجأ إلى المنهج التأويل الرمزي لأنه كان يؤمن بأن الكتاب المقدس يحتوي على الحقيقة التاريخية أي أنه كتاب صعب وغامض ومليء بالأسرار بمعنى أن المرء يعجز عن معرفة المعنى الذي يشير إليه الكتاب (ولقد عالج أوغســـطين منهجه هذا بالذات في المذهب المسيحي الذي

[1] زينب محمود لخضري، المرجع السابق، ص 63.

لخصه أوغســـطين في هذه القاعدة)، إن كل ما جاء في الكتاب المقدس ولا يتعلق مباشرة بالإيمان والأخلاق لابد من إعتباره معنى مجازياً.[1]

ويقصد أوغســـطين هذا القول أن الكتاب المقدس يحتوي على معاني وعبارات إيمانية وأخلاقية وأي كلام ورد في الكتاب المقدس لا يتعلق بالإيمان والأخلاق يعتبره أوغسطين معنى مجازي[2].

(فنجد القديس أوغســـطين عالج التحليل اللغوي حيث يقوم بإستخدامه إلى أبعد الحدود ويرى أن هذه الخطوة آخر خطوة في منهجه الأوغسطيني حيث كان يلجأ إليها في حالة عجز الخطوات السابق "سد ثغرات التاريخية، إعادة ترتيب الأحداث، نقد تاريخي" عن حل المشكلة التي يواجهها وقد إعتمد أوغســـطين في هذه الخطوة على كل التجارب الفكرية التي مر بها في حياته الفلسفية، ويرى أن التأويل ضروري وإعتماد على الظاهري لنص الكتاب المقدس)

ويمكن القول القديس أوغســـطين كان يستخدم تلك الخطوة المنهجية في دراسة للنصوص التاريخية الواردة في الكتاب المقدس، ولم يكن في حاجة لإستخدامها في الدراسة للكتابات التاريخية الأخرى فالتأويل إذن يهدف إلى التفسير.

الأحداث التاريخية الموجودة في كتاب المقدس، وأن الحقيقة الكلية تحتاج إلى التأويل فأوغسطين أعطاها قيمة توضيحية وشكلاً عاماً وجعل منها قانوناً عاماً وهي عنده فكرة تتحكم في مجرى التاريخ وتفسر لنا الأحداث وتنير لنا مسارها أما أهميتها تتجلى بوجهيها الظاهري والباطني.[3]

---

[1] زينب محمود لخضري، المرجع السابق، ص64.

[2] أغسطين "مدينه الله "، المرجع السابق، ص 12 –29 .

[3] زينب محمود لخضري، المرجع السابق، ص67.

ج. منهج دراسة التاريخ عند القديس أوغســطين:

- **سد الثغرات التاريخية :**

(لم يكن شاغل القديس أوغســطين ابتكار مناهج جديدة للمؤرخين ليستعينوا به إنما كان شاغله الحقيقي تقديم تفسيراً خاصاً للتاريخ المتضمن في الكتاب القدس ليوظفه بعد ذلك في بناء لاهوته وأول مثال الثغرة التاريخية صادفها القديس أوغســطين في الكتاب المقدس [1]

" ذكر أولاد آدم ثلاثة فقط –هابيل وقابيل و شيت– رغم أن أيام آدم ثماني مائة، والحل الذي كان لمد هذه الثغرة التاريخية قول أوغســطين"إن الكتاب المقدس لم يكن يعينه حصر كل ذرية آدم بل كان يعنيه ذرية آدم تنتهي في تسلسلها إلى إبراهيم أبي الأنبياء")

أوغســطين لم يكن هدفه إبتكار منهج جديد وإنما كان هدفه تقديم تفسيراً خاصاً للتاريخ، وأراد أوغســطين أن يوضح الخطأ الذي ورد في الكتاب المقدس ولكنه لم يقصد وجود أخطاء فيه وإنما هناك بعض الأحداث التي لا يرى أهمية في سردها.[2]

- **إعادة ترتيب الأحداث أو تركيبها:**

[1] مجموعه من المؤلفين، فلسفة التاريخ جدل البدايه ونهاية العد الدائم، ط1، دار روافد، بيروت، 2010، ص93.

[2] ــزينب محمود لخضري، المرجع السابق، ص68.

لاحظ أوغســـطين أن الكتاب المقدس لم يلتزم بسرد الأحداث بشكل متسلسل فإن أوغسطين أن على المؤرخ بذل جهد في الترتيب الزمني للأحداث ومن الأمثلة التي تتناول إعادة ترتيب الأحداث ... لسام[1] التي يقول فيها أوغسطين :"إن عابر هذا لا يعقل أن يكون إبناً لسام بل هو أحد أفراد الجيل الخامس من ذريته وما ذكره الله قبل سام إلا ليؤكد على أن أوغسطين حقبة تاريخية ليبرز أمراً"[2]

لقد بذل القديس أوغسطين جهداً وذلك لتتبعه للتاريخ ودرجة توافقه ما جاء في الكتاب ومثال ذلك "أن الكتاب المقدس يتعرض لمسائل غير مراعي لترتيبها الزمني فيعيد أوغسطين في كتاب مدينة الله ترتيبها"[3].

- **النقد التاريخي :**

أما الأخذ بالنقد التاريخي فيتضح في رفض أوغسطين صراحة وبكل جرأة لبعض الروايات التاريخية الكتاب المقدس، فقد رفض أوغسطين بعض الروايات في الكتاب المقدس لأنها تعارض منطق ومنها ما رواه الكتاب عن بناء قابيل أو ابنه مدينة بأكملها وعلل أوغسطين رفض بأن المدينة بحكم تعريفها هي مجموعة من الناس تربط بينهم صلات اجتماعية ما يتنافى مع الكون ففرد واحد هو الذي بناها.

إذن بين لنا القديس أوغســـطين أن النقد التاريخي يتخذ الصراحة والجرأة في بعض الروايات.[4]

- **التأويل الرمزي أو التفسيري المجازي :**

---

[1] مجموعه من المؤلفين، " فلسفة التاريخ " المرجع السابق، ص63 .

[2] أغسطين "مدينه الله "، المرجع السابق، ص 12 – 29 .

[3] صديقي دنيا بومعيزة ياسمينة، المرجع السابق، ص 43.

[4] نفسه، ص 44.

أما أهم الخطوات المنهجية التاريخية والتي برع أوغسطين في استخدامها إلى أبعد الحدود فهي "التأويل الرمزي المعتمد على التحليل اللغوي" ولقد جعلت الخطوة آخر الخطوات المنهج الأوغسطين ويتبين لنا أن أوغسطين لجأ إلى المنهج التأويل الرمزي لأنه كان يؤمن بأن الكتاب المقدس يحتوي على الحقيقة التاريخية أي أنه كتاب صعب وغامض ومليء بالأسرار بمعنى أن المرء يعجز عن معرفة المعنى الذي يشير إليه الكتاب فإن أوغسطين لا يكشف لنا عن معنى أعمق وإنما هو يكشف عن أحد مفاهيم العقيدة.[1]

منهج التفسير المجازي لدى أوغسطين ينقسم إلى مرحلتين أساسيتين:

- التفسير المباشر أو الحرفي وهي تنقسم إلى عدة خطوات

الشرح: والمقصود بها طبع تحقيق الكتاب المقدس التي كانت له ترجمات لاتينية عديدة عن اليونانية كما كانت له الترجمة الشهيرة عن الأصل العبري، ونتيجة لتعدد الترجمات كان هنالك اختلاف كبير عن تحديد المعنى المقصود في النص.

التأويل: تعني التفسير المجازي للنص بعد أن يتم تحديد معناه الحرفي وبعد التحقق من سلامته مما قدم تأويل للأسماء معناه الحرفي وبعد التحقق من سلامته مما قدم تأويل للأسماء مثال :"آدم، الذي يدل على الجنين ذكر وأنثى وقدم" لقصه الطوفان.[2]

4. قراءة لاهوتية التاريخ عند القديس أوغســطين :

يتألف الكتاب المقدس للمسيحيين من الأناجيل الأربعة وهي: إنجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا، (نظرة المسيحية لتاريخ تتجلى في فهم المسيحي لخطيئة آدم والتجسد والفداء والسعي)

[1] مجموعه من المؤلفين، فلسفة التاريخ، المرجع السابق، ص63.

[2] مجموعه من المؤلفين، فلسفة التاريخ، المرجع السابق، ص63.

إن التفسير التاريخي لدى المسيحيين يتألف من مجموعة الآراء التي عرضها رجال الفكر إستناداً إلى فهمهم إلى بعض نصوص الإنجيل (لقد إهتم "ألبان ويدجرى" بتحليل نظرة الإنجيل للتاريخ فأكد أن المسيحية اهتمت بالتاريخ من جهيتين).

1. أحداثاً معينه 1. ربما تكون حقيقة 2. أو مجرد أشياء مزعومة[1]

ويؤكد اللاهوت المسيحي أن الله قد غضب على آدم وحواء عند ارتكابهما الخطيئة،و حكمهم على نسلها بالعذاب ثم أحب الله العالم فضحى بإبنه الوحيد كفارة عن البشر وأن المسيح قد حمل خطيئة العالم في جسده وجعل نفسه فدية استناداً إلى[2] ما وردته الأناجيل من أقواله:(لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيما يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامه الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة، أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني)[3]

وأيضاً قوله :(من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[4]

والمقصود من هذه النصوص المقدسة أن الذين عملوا السيئات يعاقبون والذين عملوا الصالحات يقومون للحياة مرة أخرى، أما المقصود من القول الثاني أن هناك حق مغفرة الذنوب في المسيحية.

أما في ما يتعلق بحياة المسيحيين وانتشار المسيحية في التاريخ فإن الله حاضر في "روح القدس" وبهذا المفهوم تصورت المسيحية الله في صورة ثالوث في واحد (الأب والإبن والروح القدس)وهم يرون في "الأب" يعد صورة سامية خالق الدنيا والبشر وأنه

[1] مصطفى حسن النشار، "فلسفة التاريخ" معانيها ونشأتها وأهم المذاهب، ط1، دار المسيرة، عمان، 2006، ص 164.
[2] مصطفى حسن النشار، المرجع السابق، ص164.
[3] إنجيل يوحنا، الإصحاح 5 :(28-30) ص10
[4] إنجيل يوحنا، الإصحاح 20 :(20-23) ص45

يبين ظهور التاريخ ويرون في "الإبن" مخلصاً قصد به أن يرد التاريخ إلى هدفه الذي أراده الله منه ويرون أن "روح القدس" هو الذي يطهر الناس في أثناء عملية التاريخ[1]

نلاحظ وجود علاقة بين " الأب والإبن وروح القدس" وهي منفصلة على بعضها

وهناك نقطة جوهرية في هذا التصور هو الإعتقاد، ولقد قامت الرؤية المسيحية للتاريخ، على ثلاثة مفاهيم محورية من مفاهيم الفكر التاريخي.

أ. الزمان: إن مفهوم الزمان مفهوم مضطرب في المسيحية ويستشهدون الباحثون بالمفارقة المسيحية الشهيرة،من جهة أن الله خلق آدم الذي خطأ هو وذريته بالخطيئة حتى جاء المسيح فحقق الخلاص للإنسانية.

ومن جهة أخرى أن الله خلق في البدء كل شيء في المسيح ما يعني أنه خلق الخطيئة فيه و الجدير بالملاحظة أن الكتاب المقدس بدأ بآية تشير إلى الزمان[2]"في البدء خلق الله السموات والأرض"[3]

ب.سيرورة التاريخ وغايته: لم تميز العقيدة المسيحية من حيث هي نصوص مقدمة بين الزمان والأبدية وبين الزمان والتاريخ وأبرزت المسيحية أهمية الزمان لأنه هو الوعاء الذي تجسد فيه الله في الإنسانية ليصحح مسار التاريخ البشري، فالزمان هو مجال الله والتاريخ هو مجال الإنسان

فالله هو المتحكم الوحيد في التاريخ و سيرورته وفي غايته وقد وضعت المسيحية التاريخية على أساس و مبادئ أهمها :[4]

[1] هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 89.

[2] هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 90.

[3] ــ سفر التكوين، الإصحاح، 01 (01) ص01.

[4] مصطفي حسن النشار، المرجع السابق، ص 165.

• أهم ما جاء في الحياة هو الجانب الروحي: الإعتقاد بأن الله وثيق الإهتمام بالتاريخ وكلما اعترفت على إختلافها بالإستمرار الروحي بعد الحياة الدنيا، وهناك نظريات تدور حول المصير النهائي للأفراد يعتقد فيها المسيحيون هي:الخلاص الشامل "أساسه الناس جميعاً يبلغون درجة الكمال"مذهب الخلاص المشروط"أساسه لن يدوم إلا من استحق الإستمرار".

مذهب السعادة الأبدية أو الخسران المبين : بمعنى التاريخ الأرضي لا يحتوي على معنى كامل "الأرواح الطيبة سعادة السماء ويقاسي الخبيثون شراً أبدياً"

من هنا نقول أن المسيحية جعلت التاريخ عبارة عن مسرحيه تضمنت خطيئة آدم والتجسد والفداء، مما أعطت المسيحية لنفسها العصمة من الخطأ لئن سلطتها مستمده من المسيح عليه السلام وبهذا كان نفوذه على كل السلطات [1].

العناية الإلهية وغاية التاريخ : يعتبر محرك التاريخ قضية فلسفة التاريخ الأساسية التي عالجها القديس أوغســـطين معالجة لاهوتية، "نجد القديس أوغســـطين في تفسيره للتاريخ البشرية استخدام مفاهيم لاهوتية خالصة وهي ستة مفاهيم ولن تتضح لنا إلا إذا ربطناها بالظروف التاريخية التي صاغها أوغسطين فيها ومن أجلها كان الدفاع عن المسيحية".

• اللطف الإلهي كان يشغل أوغســـطين في مقام الأول ومن أجله عالج كل المفاهيم اللاهوتية كما لقب الفيلسوف الإلهي، فقد ركز في هجومه على مذهب "بيلاج" على مفهومه الخاطئ عن اللطف ولتسيير العرض والإيضاح ترى معالجة الخطيئة الأولى عنده معالجة منفردة.[2]

• الخطيئة: أكد أوغســـطين على هجومه لبيلاج وأنصاره عدة حقائق أولها أن الخطيئة الأولى" هي التي حرمت آدم وحواء من نعمة الخلود وطردهما من الفردوس عند

[1] مصطفى حسن النشار، المرجع السابق، ص 164

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة، دط، تر: فتح الله مشعشع، بيروت، 1972، ص45-46.

قيام إبليس بإغوائهما ووقوعها كضحية، هذا ما هو موضح في المقولة :(وجد خائناً للحقيقة، خارج جماعة الملائكة القديسين ممعناً في الثورة ضد خالقه متحيراً متباهياً بقدرته الشخصية التي غش بها)

والمقصود من هذه المقولة أن إبليس جاء متباهياً بقدرته الشخصية لإغواء البشرية ووقوعهم في المعاصي والمهالك،و علل أوغسطين بأن الخطيئة الأولى مختلفة عن سائر الأخطاء التي يمكن للجنس البشري أن يرتكبها من حيث أنها ليست من قبيل الأفعال التي تنسب لصاحبها فحسب وإلا نسبت لآدم دون غيره من أبناء ذريته، وبسبب خطيئة آدم أصبح كل جنس بشري يعاني في الحياة الدنيا لكن بفضل الله رحمة بالإنسانية وحبالها تجسد في المسيح ليفديها ويخلصها من خطيئتها الأصلية إذن فخطيئة آدم الأولى ليست خطيئة عادية بل هي عصيان وتمرد على الله ولأنها كذلك فقد تحملت الإنسانية كلها وزرها لأن الإنسانية تكون وحدة متكاملة مع بعضها البعض وهذا ما نجد القديس أوغســـطين فسرها ببراعة.[1]

- الجزاء والقدر وعلم الله المسبق: ترتبط إرتباطاً عضوياً في مذهب القديس أوغســـطين ولابد من البدء بمفهوم الجزاء لأنه بمثابة المحور الذي يدور حوله المفهومان الأخريان، وجد القديس أوغســـطين إذ ربط اللطف الإلهي بالجزاء أي جعل اللطف جزءاً من الله على أفعال البشر يكون قد قيد بشكل ما حرية الله المطلقة ومن جهة أخرى إذ فصل فصلاً تاماً بين الجزاء واللطف بحيث لا يخضع هذا الأخير إلا لحرية الله المطلقة[2]

وإختار أوغســـطين الجهة الثانية لإتفاقها مع العقيدة فصل أوغســـطين بين الجزاء واللطف فصلاً تاماً جاعلاً هذا الأخير خاضعاً لإرادة الله وحده ولا علاقة له بأعمال البشر

[1] يوسف كرم، المرجع السابق، ص45-46 .

[2] زينب محمود لخضري، المرجع السابق، ص68.

إن اللطف هو محرك الوحيد للتاريخ، واعتبر أوغســطين القدر بمثابة تمهيد اللطف وقضية القدر عنده قضية لاهوتية.[1]

- إرادة الله وإرادة الإنسان: ويعرفها أوغســطين بأنها القدرة على قبول تصور ما أو رفضه، فعلاقة إرادة الله بإرادة الإنسان من أهم قضايا لاهوت التاريخ بشكل عام ومن أهم القضايا الأوغسطينية بشكل خاص يلاحظ أوغسطين أن البشر يميزون بين الخير والشر ولكنهم لا يفعلون الخير دائماً فأغلبهم يرغبن في ذلك لكنه لا ينجح وفسر ذلك بأن الأهواء هي التي تعوق تحقيق الإنسان لإرادته وهي التي تكبل حريته، فالله وحده هو الذي في إمكانه أن يساند الإنسان فيضمه من هذه الأهواء ويجعله يختار الخير ويعجز أوغســطين عن التفسير إرادة الله وهو يعالج علاقة إرادة الله بإرادة البشر ويكتفي بتقرير الحقائق الإيمانية المسيحية وكان يشغل أوغسطين في المقام الأول هو إرادة الله لا إرادة البشر وينطلق القديس أوغســطين في فهمه للتاريخ من مسلمة دينية تقول أن الله كلي القدرة والمعرفة وهو غير خاضع لأي نوع من أنواع الضرورات، فقد خلق الطبيعة، ويستطيع إذا أراد أن يغيرها وهو سبحانه على علم بما كان وبما سيكون وبإختصار فإن الله يقرر مستقبل التاريخ.

وهكذا فإن التاريخ كما يفهمه القديس أوغســطين يدور حول كل من المؤقت والأبدي فالله أبدي وهو خالق الزمان ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من جهة نظر المؤقت فإن الله في إطار التاريخ البشري هو العناية، فشؤون التاريخ الأرضي يتولاها الله ويحكمها كما يشاء وعدم ترك ممالك البشر خارج قوانين العناية،[2]

وذلك فإن العالم عند أوغســطين له إنسجام تام فهو منتظم ومتناسب الأجزاء وهذا النظام المتمثل في العالم يدل على أن الله يرتب الأشياء حسب الغاية التي ينشدها

[1] مصطفى حسن النشار، المرجع السابق، ص168.

[2] يوسف كرم، المرجع السابق، ص45-46.

ويعني من هذه الفكرة أن الله خلق التاريخ فالتاريخ البشرية يسير بمشيئة الله وعنايته وخلق العالم في نظام وإتساق منسجم.[1]

نظرية الغاية الإلهية عند أوغســطين مقتصرة على شعب الله المختار يرى أوغســطين أن أحداث التاريخ تسير بخط مستقيم إبداء من خلق آدم بداية التاريخ وإنتهاء يوم القيامة (حيث تكون نهاية التاريخ)، وهو يؤثر في هذه المسيرة سبعة حقب رئيسية، كان لكل واحدة منها خصوصيتها، وهي لن تتكرر وهذه الحقب هي:

1. من آدم إلى الطوفان في زمن نوح عليه السلام.
2. من الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام
3. من إبراهيم إلى داوود عليه السلام
4. من داوود إلى أسر اليهود في العراق
5. من أسر اليهود إلى ولادة المسيح عليه السلام.
6. الحقبة الأخيرة التي يأتي فيها ملكوت المسيح ويقصد بهذه الحقبة إستراحة الله، وفي كتابه مدينة الله يوضح أوغســطين أن هناك نوعين من المجتمعات يسيران جنباً إلى جنب واحد منهما هو "جماعة المؤمنين" الذين تربطهم محبة الله المؤسس لحب السلطان وهذا الحب هو الصورة السياسية للكبرياء ومحبة الذات، هاتان المدينتان تسيران جنباً إلى جنب حتى نهاية الزمان ولكن خطة الله هي أن تنتصر مدينة الله [2]

وإرتبطت وجهة نظر أوغســطين في التاريخ بالأخلاق فهو قد ذهب إلى أن الشر قد دخل بمعصية آدم، كما أن في الإنسان نزعتين، نزعة حب الذات إلى حد الإستهانة بالله ونزعة حب الله إلى حد الإستهانة بالذات "وهناك وجود نمطين من أنماط الحياة في التاريخ يتألف النمط الأول من أولئك الذين يتوقون إلى الحياة وفقاً للجسد وهم الذين أطلق عليهم

[1] مصطفى حسن النشار، المرجع السابق، ص168.

[2] رأفت غنى الشيخ، فلسفة التاريخ، د ط، دار الثقافه، القاهره، 1981، ص 82 .

تسمية أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان، فمدينة الأرض هي مدينة مواطن السلطان السياسية بأخلاقها تساند الظلم، فالحب فيها غير نقي فهي مدينة الأشرار والشعوب الكافرة لا يعيشون بالإيمان ويرون أن الله وسيلة للمتعة بالعالم ويتألف النمط الثاني من أولئك الذين يتوقون إلى الحياة وفقاً للروح وهم الذين أسماهم بأصحاب المدينة السماوية في مدينة الله فهي مدينة الأبرار وغايتهم هي السعادة في الرب"[1]

من خلال هذا التقسيم الأوغسطيني للعالم يبين لنا المدينة الأرضية تقوم على حب الذات ويتميز أصحابها بأنهم يتبعون أهوائهم ويكثر بينهم الظلم وليس فيها خير وهي مدمرة للأنفس وأن المدينة الأرضية ليست بخالدة أما المدينة السماوية فتستقر إلى حب الله وفيها يخدم الأمراء ورعاياهم بعضهم في رحاب المحبة وطبقاً لهذا تكون الحياة الأبدية هي الخير الأسمى تسعى للسلام الدائم، وقد لاحظ أوغســطين أن هاتين المدينتين لم يكونا متمايزين من بعضهما في الحقبة الممتدة من آدم عليه السلام حتى عهد النبي إبراهيم عليه السلام، ثم تميزن مدينة الله من مدينة الشيطان أثر ظهور بني إسرائيل في التاريخ .[2]

وإختصاصهم بالمدينة الإلهية بالنظر لظهور الأنبياء بينهم أما بقية الحضارات الإنسانية فقد إستمرت العيش في نمط المدينة الأرضية محرومة من الهداية الإلهية لكن مع هذا الإنفصال والتباين بين المدينتين فأنهما كانا يتقدمان معاً ويمهدان لظهور السيد المسيح مهد بنو إسرائيل له روحياً ومهدت له الحضارات القديمة سياسياً وفقاً لتدبير الغاية الإلهية للغاية الإلهية مقام، لأنها الحكم في الإنتصارات، كما في الهزائم بغرض الطاعة على الناس والسلطة لنا بين الآخرين، ولكن بين الدولة الكثيرة التي قسمت المجتمع أو مدينة إثنان فكانت عظمتها سائر الدول في العالم هما المملكة الأشورية والإمبراطورية الرومانية مما إنتهى التمايز بظهور المسيح ومن ثمة يجب أن تتم الوحدة بين الجانب الروحي ممثلاً

[1] فايز فارس، الأخلاق المسيحيه، ج2، ط1، دار الثقافه، القاهره، 1992، ص130.

[2] هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص 96.

الكنيسة والجانب السياسي ممثلاً الدولة ولما كانت الأخيرة تسعى إلى خيرات الدينونة بينما تجعلها الكنيسة وسيلة لغاية روحية أسمى فإنه أن الدولة للكنيسة[1] كما ورد في كتابه "مدينة الله" (إني أريد أن أتبسط بدروبي مدينة الله وأفكاري حول أصلهما ونموهما والنهاية التي تنتظرانهما، بعون الله تعالى لمجد مدينة الله التي تزداد وضوحاً من خلال التناقضات)[2]

لقد انتهى القديس أغسطين من خلال تفسيره الديني للتاريخ إلى أن السلطة النهائية في قيادة المجتمع في المجالين الديني والسياسي ينبغي أن توضع في يد الكنيسة ولقد تعرض هذا التفسير للنقد والمراجعة إلا مع بداية عصر النهضة وقد إضطر هذا التطور مفكر آخر من مفكري الكنيسة إلى أن يعمل على تجديد تفسير القديس أوغســـــطين وتقديمه بصورة أكثر ملائمة لظروف العصر وقد كان هذا المفكر هو الأسقف جاك بوسوية نجد العديد من الفلاسفة الذين انتقدوا القديس أوغـــــسـطين وخاصة في مدينة الله والعناية الإلهية لذا فإننا سنركز على أهم نقاط عرضها القديس أوغســـــطين عن "مدينة الله" وعناية الإلهية .

فكرة العناية الإلهية كما عرضها القديس أوغسطين قد إنطلقت من ثوابت المسيحية، ومن ثم فقد حصرت نفسها في إطار المنطق الديني المسيحي اللاهوت ولم تتجاوز إلى تقديم

ولذا قرر بعض الباحثين أن يتعذر النظر للقديس أوغســطين بصفة مؤسس الفلسفة التاريخ لأن ما جاء في "مدينة الله" لا يحتوي على فلسفة ولا تاريخ بل هو لاهوت[3].

---

[1] نفسه، ص103 .

[2] أغسطين " مدينه الله "، المرجع السابق، ص 12–29.

[3] هاشم يحي الملاح، المرجع السابق، ص103.

الفصل الثاني :

صراعات القديس أوغسطين في نشر الديانة المسيحية

المبحث الأول : صراع أوغسطين مع الحركة الدوناتية والدواريين

المبحث الثاني : الغزو الوندالي

تمهيد

بعد إنفراد الإمبراطور قسطنطين بعرش الإمبراطورية عام 324م إتضحت الصبغة الدبلوماسية في التعامل مع الديانة المسيحية وبرز ذلك من خلال ما كان يردده قسطنطين "ليمارس كل منكم العقيدة التي يفضلها" وهو ما جعل أن إعتناقه للديانة المسيحية كان يهدف إلى تحقيق أغراض سياسية عجز عن تحقيقها بالوسائل العسكرية حيث صارت الكنيسة تشكل وسيلة قوية لجمع كل الرعايا المسيحين وممارسة سلطة الإمبراطورية عليهم عن طريق الكنسية التي تحولت إلى جهاز إيديولوجي قوي التأثير يخدم المصالح العليا للإمبراطورية الرومانية ومن بين الأدلة الهامة والكثيرة التي يمكن أن نشير إليها هو ذلك الدور السياسي للأمبراطور قسطنطين والمتمثل فيما يلي:[1]

طلب من الكنيسة فتوى في صورة قانون كنسي تحرم الجنود أن يتخلون على أسلحتهم "عبارة على أنه كافر من يخالف" وهناك من كان مؤيد وآخر معارض النتيجة التي يمكن إستخلاصها وقوع الكنيسة تحت جناح الإمبراطور مما أدى إلى فقدانها لقيمتها المعنوية خاصة أمام الطبقة المحرومة التي كانت السبب الرئيسي للإضطهادات.[2]

هكذا انحرفت الكنيسة تدريجياً عن المبادئ النضالية ومن هنا يحق للمتمسكين بالأموال المسيحية الأولى أن يناهضوا الكنيسة التي تخلت عنهم وعن طموحاتهم ويعارضوا سلوكها المتخاذل مع السلطة، وقد أدى ذلك التحالف بين الكنيسة والسلطة إلى الإنشقاق بين المسيحين الأفارقة في صورة حزبين دينيين[3].

الأول : حزب موالي للدولة وعلى رأسه الكنيسة الرسمية

[1] محمد بشير شنيتى، الدوناتيه وثوره الرفيين خلال القرن الرابع، مجلة الأصاله، عدد60، 1978، ص 26 .

[2] أندري إيمار، جانين أبوابي، تارخ الحضرات العام، مج 2، تر فريد داغر، ص564.

[3] محمد بشير شنيتي، المرجع السابق، ص273.

الثاني : حزب معارض لهيمنة السلطة على الدين وعلى رأسه الكنيسة الدوناتية.[1]

المبحث الأول : صراع أوغسطين مع الحركه الدوناتيه والدورين

1. الحركة الدوناتية

أ. تعريف الحركة الدوناتية:

هي حركة ثورية دينية وإجتماعية وسياسية قامت بدور تاريخي هام في القرن 4م"429 م " ظهرت في شمال إفريقيا بالتحديد في نوميديا، ولم تظهر هذه الحركة إلا بعد تبني الإمبراطور الروماني دور العقيدة المسيحية دينا رسمياً لدولة الرومانية منذ313 م، ذات طابع سياسي متمثلة في تحرير المغرب من الإستعمار الروماني ونتج عن هذه الحركة ثورة العمال والفلاحين، [2]

ب. التعريف بدوناتوس :

ولد دوناتوس في القرن 3 م في مدينة ميلة، ولد حوالي 270 م والمتوفي سنة 355 م يعتبر دوناتوس من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان، بكل ما أوتي من علم وقوة[3]

وهو أيضاً من أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية في الوسط الإفريقي وهو قس وراهب في قرية بربرة وصار بعد ذلك أسقفا وزعيماً دينيا كبيراً في إفريقيا الشمالية وجد

---

[1] نفسه، ص273 .

[2] P,Monceaux, Lèglise donatiste aux temps deS.Augstin, R dHistoire des Roli , 61, 1910, p20.

[3] Pallu de Lessert , Faste des provinces Africanes sous La domination Romainn, Tome 2, paris ،1901 , p, 243.

دوناتوس إحتراماً لدى أعدائه، حيث أظهر أغسطينوس دائماً إحتراماً وتقدير عظيم لدوناتوس "انظر إليه كجوهرة ثمينة نادرة".[1]

ج. مسار الحركة الشعبية الدوناتية :

مع تطبيق مرسوم ميلانو الذكي كان قد أقره قسطنطين، استيقظت فجأة كنيسة الشهداء المسيحيين المنهوكة القوى، لتجد نفسها محط ترحيب على أعلى المستويات في الإمبراطورية والإمبراطور نفسه أصبح من بين أعضائها وبعد مرور عشر سنوات، " كان الشعور بالمهابة والدهشة لا يزال مسيطراً عندما دعا قسطنطين مجموعة من النظار لتناول طعام العشاء على مائدته الملوكية في قصره وفيما كان هؤلاء الذين سلموا من الإضطهاد وبعضهم من المعاقين والعميان، سيرون بين صفين من العسكر الرومان، في طريقهم نحو مائدة الإمبراطور، تسائل أحدهم مستغرباً عما إذا كان ملكوت الله قد حضر فعلاً على الأرض، أم هو في حلم".

لم يغير هذا مرسوم بشكل جذري الحكم الإمبراطوري وكل ما فعله هذا المرسوم هو أنه منح كل فرد حق العبادة الحرة بالطريقة التي يراها مناسبة له، كما أنه رخص للكنائس أن تسترد الممتلكات ولكن كان لهذا المرسوم البسيط، الذي يرجع إلى 313 م نتيجتان بعيدتا الأثر والنطاق" لقد وضح حدا لإضطهاد المسيحيين في كل أرجاء الإمبراطورية بما في ذلك إفريقيا الشمالية، كما أنه أدى بسرعة فائقة إلى تحالف دائم بين الكنيسة والدولة الرومانية وهكذا لم يعد المسيحيون يحتاجون إلى الإجتماع ليلاً وراء الأبواب المغلقة وفي الفرق الداخلية من دورهم أو تحت الأرض في وسط مقابر أسلافهم المظلمة أصبح

[1] محمد الصغير غانم، الثوره الريفين الأوراسيين ضد الإستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، باتنه، الجزائر، 2005، ص09 .

بإمكانهم أن يجتمعوا حيث يشاؤون من دون خوف، كما أنه تم تعيين بعضهم في مناصب عالية في الإمبراطوريه الرومانيه[1]

وهكذا ذهبت كنائس شمال إفريقيا تتطلع بكل تفاؤل إلى حلول عصرها الذهبي لكن بدأت في هذه الفترة تظهر مؤشرات مقلقة إلى أن هذه الإمبراطورية الواسعة الأرجاء قد دخلت في الآونة الأخيرة مرحلة تدهورها البطيء كما أنها من الواضح أن الكنيسة أصبحت تشارك في هذا السقوط والإنهيار "ويبدو أن كبريانوس كان قد تنبأ بحصول ذلك فقبيل إستشهاده في عام 258 م قال لأصدقائه في قرطاج[2].

" حذار فإن هذا العصر قد دخل مرحلة الشيخوخة ولم يعد لديه الآن العافية التي كانت تخوله الصمود، ولا النشاط الذي كان يساعده على أن يكون قوياً وهذا هو حكم الله إنه قانون البشر فالذي يعيش لا بد له من أن يموت والذي ينمو ويكبر لا بد له من أن يشيخ،

خلال الاضطهاد ظهر أنه لا يستحق أبدا أن يتبوأ مثل هذا المركز، لقد عارضوا هذا التعيين تماما كما حدث قبل ستين سنة عندما قاوم نوفاتوس و مناصروه اختيار كبريانوس لمثل هذا المنصب، لقد قالوا أن هذا التنصيب هو باطل في نظر الله ذلك لأن كايكيليان هو خائن كما أن أحد أولئك الذين أقروا تنصيبه "الناظر فيلكس" كان أيضا مذنبا لأنه سلم الكتاب المقدسة إلى السلطة الوثنية اقترحوا بديل ماجورينوس، (Majorinus) عينه رسميا سبعون ناظرا من نوميديا كانوا قد اجتمعوا سرا في قرطاجة كما عقدت إجتماعات في بيوت عديدة للتآمر و بعد بضع سنوات عندما مات الناظر المنافس ماجورينوس ثم اختيار دوناتوس ذو الشخصية القوية خلفا له و منذ ذلك الحين سمي أتباعه الذين يمثلهم بأسمه[3]

[1] روبين دانيال، المرجع السابق، ص231 .

[2] روبين دانيال، المرجع السابق، ص 232.

[3] نفسه، ص 234 .

فادعى الدوناتيون أن كايكيليان و سلفه منصوريوس قد استخفا بشهداء الكنيسة أبيتينا الذين كانوا مسجونين في قرطاجة و قد منعا أصحابهم من زيارتهم و من دعمهم في معاناتهم، و أكدوا باستمرار أن كايكيليان عندما كان لا يزال مدبرا، خان اذ سلم الوثنيين الكتب المقدسة العائدة الى كنيسة قرطاجة، فان كان تغيير حرف واحد من الكتاب المقدس يعتبر جريمة، [1]و بدورهم ذهب اكثر المتحمسين للدفاع عن كايكيليان يؤكدون أن الدوناتيين خلال فترة الاضطهاد قد ابرزوا تعصبا مخزيا اذ أثاروا غضب المسؤولين الامبراطوريين عن سابق قصد وتصميم ليتخذوا إجراءات قانونية ضدهم لقد احتالوا اذ نجحوا في الحصول على شهداء متألقين من جماعة المشعوذين الفجار و الى هذا الحد كان النزاع يدور حول مسألة من يمكن اعتماده ناظر لكنيسة قرطاجة، لكن كانت هناك عوامل أخرى تعمل في الخفاء و بدأت كنائس المدن و القرى و الأرياف المجاورة تتحزب ذلك لأسباب لم يكن لها علاقة وثيقة بالمشكلة الأساسية[2].

و اذ تحقق قسطنطين صعوبة حل النزاع قرر طلب مساعدة كنائس فعين لجنة قوامها خمسة عشرة ناظرا و ثلاثة نظار غاليين و ذلك برئاسة ناظر كنيسة روما و دعاها للاجتماع سنة 313 م في روما، كان على المجتمعين أن يستمعوا الى كل من الجانبين المتناحرين و أن يتأكدوا من حقائق هذه القضية ويحاولوا التوصل الى تسوية فكانت النتيجة انهم رسخوا براءة كايكيليان و هكذا تم ارسال مبعوثين الى افريقيا لاعلام الكنائس هناك بأن الكنيسة الكاثوليكية العالمية تدعم كايكيليان و لكن عندما وصل هذان المبعوثان الى قرطاجة [3]اضطرا كثيرا عندما وجد هذا الفريق الذي يعارض كايكيليان لم يرتبك على الاطلاق تجاه ما قد تم اقراره بل على نقيض ذلك اذ في رفضهم الرجوع عن موقفهم طالبوا بأن يتدخل الامبراطور شخصيا في الأمر أما قسطنطين فأظهر صبرا لا بنفد اذ

[1] نفسه، ص 236 .

[2] روبين دانيال، المرجع السابق، ص 238 .

[3] محمد محى الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 115 .

أمر بانشاء لجنة على نطاق أوسع من السابقة و طلب اليها أن تجتمع في العام 314 م في آرل(Arles) التي تقع في المنطقة الجنوبية من بلاد الغال و هكذا اجتمع ما لا يقل عن ثلاثة و ثلاثين ناظرا فتمت للمرة الثانية تبرئة ساحة كايكيليان [1].

اعترفوا به ناظرا لكنيسة قرطاجة فاعتبر المجتمعون أنه لم يتم تسليم الكتاب المقدس الى السلطات الرومانية بواسطة كايكيليان أو فيلكس لكن قسطنطين كان يتحاشى اصدار أي بيان في هذا عام خصوصا و ذلك على مدى ثلاث سنوات كما أن كايكيليان نفسه مكث في روما للقيام ببعض الأمور الخاصة[2]

تضخمت الاضطرابات في افريقيا من جراء هذه المسألة و وصلت الى حد اضطر معه قسطنطين الى أن يتحرك بحزم ففي العام 316 م اتخذ خطوات قانونية لوضع قرار آرل موضوع التنفيذ و هكذا تم تهديد الدوناتيين بانزال عقوبات بحقهم اذا واصلوا تعنتهم و عنادهم كما طلب اليهم أن يتوقفوا من اجتماعاتهم لئلا يعرضوا انفسهم للعقاب لكن ذلك لم يؤد الا تعزيز شعورهم بأنهم مظلومون فازدادت شعبيتهم و ترسخ عزمهم على انشاء كنائسهم المستقلة الخاصة بهم و تنميتها و قد بات موقفهم واضحا للغاية : انهم يرفضون جميع أشكال الخضوع أو القبول بالتسوية مع أولئك الذين انكروا المسيح جهرا، و لم يظهروا قط أي علامة للندم على ما فعلوه، رفض الكثير من الدوناتيين أن يخضعوا لهذا المرسوم الامبراطوري متفضلين بالحريه أن يعانو العذاب على ايدي السلطات الرومانية من المضايقة المستمرة و الاكراه بالتهديد و الاعتقال و هكذا من جديد عم كنائسهم المستحدثة ذلك الجو المحرك للحماسة الحيوية و التحدي الشجاع الجو الذي تميزت به

[1] محمد البشير شنيتى، المرجع السابق، ص 174.

[2] نفسه ،ص 186.

سنوت الاضطهاد الكنسي على أيدي الوثنيين و الذي لم يكن قد مضى الا وقت قصير على انتهائه[1].

و بمرور الوقت : اذ تصلب الدوناتيين في قرارهم هذا وجدوا أن عددا كبيرا بين الناس قد توافدوا الى كنائسهم قوم من الفقراء الذين يضمرون الضغينة العميقة لجيرانهم الأغنياء و أهل الريف الذين يحسدون سكان المدن فضلا عن غير المتعلمين الذين كان يتلوعون مما كان يلحق بهم من ذل و عار على أيدي الأرستوقراطيين المثقفين ناهيك عن البرابر المستائين من العسكر الروماني الذين يتبخترون عبر الأراضي الذين استولوا عليها [2]و قد كانت تخصهم قبلا و هكذا آثرت بعض الكنائس بالإضافة الى نظارها قطع كل صلة لها بالمؤسسة الكاثوليكية و الانضمام الى الدوناتيين و لربما أيضا وجدوا تعاطفا وديا بين الصفوف الباقين من المونتانيين و النوفاتيين كذلك تعاطف مع الدوناتيين بعض كبار مالكي الأراضي من أمثال المدعو كريسبس قد أدى دعم هؤلاء الرجال ذوي النفوذ الكبيرة الى تشجيع الأعضاء الأقل شأنا على اتباع هذا النهج أيضا كما أنه زودهم ببعض الحماية[3]

شعر القادة الدوناتيين بأن الجماهير الغفيرة من الناس كانت تدعمهم و تسير وراءهم ووصلت أخبار مقومتهم للبيانات الصادرة في قرطاجة و روما الى تلك العشائر الساخطة و العدوانية التي كانت تقطن الأصقاع الداخلية من البلاد فأنصتوا اليها بشغف، لقد تحقق الدوناتيين من أن قضيتهم قد ازدادت شعبيتها بسرعة كبيرة الا أن العائق الوحيد في الأمر هو أن الذي تقف وراءه هذه الحركة حسبهم أنها تعارض روما ليس إلا[4]

فكيف كان باستطاعة قادة الكنائس أولئك أن يعلموا ذلك الحشد الكبير عقائد الايمان المسيحي ؟ و كيف كان باستطاعتهم أن يشرعوا في شرح انجيل الخلاص من خلال

[1] عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص 285 .

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 286.

[3] نفسه، ص 186.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 311.

الايمان بالمسيح الفادي لهذا العدد الغفير ؟ أو أن يتحدثوا الى كل واحد من الوافدين الجدد للتحقق من أنه قد أدرك المغزى ما سمع ؟ و على الأرجح ان محاولاتهم للتبشير برسالة المسيح لم تثر كثيرا اهتمام الناس هذا لأن الناس لم يقصدوا هذه الكنائس بحثا عن مغفرة الله لخطاياهم لقد أرادوا فقط أن يجدوا السبل الكفيلة بتحرير أرضهم من الفرق العسكرية الإمبراطورية و من المسؤولين الرومان . ان شهرة أولئك الوعاظ الذين تحدثوا الى الجماهير بسذاجة و من دون خوف ضد السلطات قد نمت و تفاعلت مع مشاعر الغضب و النقمة العارمة التي كانت تعم سكان أودية افريقيا الشمالية و سهولها . ان كنائس التي شجعت على الاستقلال عن سيطرة روما استقطبت حولها الجماهير الساخطة على النظام في كل مدينة و في كل قرية وبالإضافة الى جميع أولئك الذين كانوا يسعون لتجنب دفع الضرائب المترتبة عليهم[1]

2. الثورة الدورية :

أ. مسار الثورة الدورية

مع تردي الاوضاع الاجتماعة والاقتصادية في البلاد المغرب ستتدعم حركة الدوناتية بثورة الريفيين فقد كانت الدوناتية حليفا طبيعيا لكل قوة تعمل على العدالة والمساوات المستمدة من التعاليم المسيحية، ومن ثم حليفا طبيعيا لكل من يعمل على زعزعة السلطة الامبراطورية في نضامها الديني و السياسي[2]

[1] ــ صديقي دنيا بومعيزه ياسمينه، المرجع السابق، ص 76 .

[2] عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص 290 .

هناك من يقول مشتقه من كلمه لاتينيه أي الطوفان حول مصليات الكنيسه وهناك من يرجع أصلها الدوران حول المخازن "ذكرها القديس أوغسطين بنفس التسميه "مما أصدرها الرومان في بداية القرن الخامس كلمه رسميه عام 412 م[1]

لقد إندلعت الثوره الريفيه في النصف الأول من القرن الرابع في السنوات مابين 330 و340م كما أنها لم تكن ذات هويه دينيه بل إنطلقت من معطيات أخرى كانت تهدف الى تحقيق العديد من النتائج

الوقوف في وجه الظلم والإضطهاد الذي كان يعانيه أبناء الأرياف والعاملين في أبناء المزارع المعمرين الرومان بهدف التخلص من طغيانهم

ضرب المؤسسات الإنتاجيه التى تعد أساس المؤسسات الإداريه والعسكريه المتسببه في شقاء الريفين ومما لا شك فيه أن طبيعة الصراع الكاثوليكي والأثرياء والسلطه من جهة والدوناتيه والثوره الريفيه من جهة ثانيه تفرض تحالف[2]

لقد شهد بلاد المغرب سنة 347 م التصادم بين الجيش الروماني الذي كان يتقدمه الأسقف الكاثوليكي ماكاريوس والمقاومين الدوناتيين وثوار الريفيين التى إمتزجت فيها الروح الدينيه بروح التحرر هكذا إستمرت الثورات العديده مثل ثورة فيرموس[3] وغيرها الى غاية انحطاط الإمبراطوريه الرومانيه ونهاية تواجدها بالمنطقه نهائيا[4]

---

[1] العود محمد الصالح، التحولات الحضاريه في شمال إفريقيا في الفتره الونداليه 429 534 م، إش محمد الصغير غانم، مذكره لنيل شهادة الماجستير جا منتوري قسنطينه، 2009.2010 ، ص36 .

[2] J, B risson,Gloire et misere de l'Afrique cheretienne K, paris,1912,pp,338-341

[3] ثورة فيرموس : وهيثوره كبرى معروفه في المصادر القديمه قام بها أمير موري يدعى فيرموس بن نوبيل في مابين 371 الى 375 وكان يهدف من ورائها تحرير البلاد من السيطره الرومانيه، تركزت الأعمال العسكريه فيها في المنطقه الممتده من جبال البابور الى إقليم زكارخاصه إستطاع فيرموس أن يجمع القبائل والفئات الإجتماعيه المختله حوله ويلحق بالرومان هزائم منكره أنضر الى عبد القادربوبايه، مجلة عصور الجديده، مختبر تاريخ الجزائر، قسم التاريخ وعلم الأثار، ص1541 المنور كليه العلوم الإنسانيه والإسلاميه، ج وهران، 2013.2014 ، ص11-12

[4] محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص .25

"القديس أوغسطين يرى سقوط الإمبراطوريه الرومانيه "ناتج عن الإراده الإلهيه التى تدير الكون وتوجه مصائر البشريه حتى تنتصر مملكة الله الأبديه وهذا مصير كل الدول والبشر"[1].

ب. موقف أوغسطين منها :

كرس أغسطين جزء كبير من إهتماماته الدينيه في محاربه ومجادلة الدوناتيه وله عده مؤلفات كتبها ضدهم ومن أهمها

أعمل مؤتمر قرطاج2- اعمال ضد كاوذنينتوس إلى جانب مؤلفات أخرى إنصبت كلها حول أراء نقدي معارضه للفكر الدوناتي وكان هدفه الاول الانتصار على قاعدتهم بالبرهان والحجه لمعرفة[2]

من 391الى 405 عمل أوغسطين على إقناع الدوناتين للعوده للكنيسه الكاثوليكيه، وكانت رسائله مصحوبه بالمحبه والاحترام، فموضوعه الاساسي يدور حول الطبيعه الحقيقيه الكنيسه واللاهوت، كذلك بحث في أصول نشأه التشبع الدوناتى الكاثوليكي لينتهي بدعوة الدوناتين للقاءات الشخصيه كذللك طلب من الدوله حمايه الكنيسه من العنف الذي تمارسه الحركه الدوناتيه

من 405إلى 411 خلال الرسائل التى كتبها، نجده يشرح بوضوح تطور موقفه من دور السلطات العلمانيه وكذلك وأًصل من خلال حججه للكشف عن الاخطاء المتعلقه بأصول التشبع وناقش مسألة اعادة المعموديه وانقسام الكنيسه[3]

[1] عمران عبد الحميد، الديانه المسيحيه في المغرب القديم النشأة والتطور 180. 430 م، إش محمد الصغير غانم، جا منتوري، قسنطينه، 2010.2011 ، ص 214 .

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص 311.

[3] روبين دانيال، المرجع السابق، ص 240 .

ولقد حاول في هذه المرحله من خلال تكريسه لكتابه (رسائل والكتب والزيارات الشخصيه) محاولا التأثير على مجالس الكنائس من خلال اقناع الجماعه الدوناتيه بالعوده الى وحدة الكنيسه[1]

ولقد اضطرأوغسطين وهو يخوض حربه ضد الدوناتيين الى وضع مبدأ خطير وهو ضروره الالتحاق وهو عباره عن مجد تقوم به السلطه العامه لحمل المبتدعه على الرجوع الى السنه واعتمدى على قول المسيح "ادفع والى دين الله دفعا "[2]

المبحث الثاني : الغزو الوندالى

1. تعريف الوندال:

شاع مصطلح الوندال في كثير من اللغات الاوربية الحديثة بالهدم و التخريب والاتلاف و العدوانية، وفي هذا الصدد يرى المؤرخ " شارل اندري جليان" ان الوندالية التي ترمز الى الاعمال الوحشية بصفة عامة هي مجرد اسطورة رغم ما ارتكبه الوندال من اعمال فضيعة.[3]

الا ان كورتوا ذكر ان اسم الوندال مشتق من اسم قرية سويدية في اوبلاند تدعى فاندال وانها هي موطنهم الاصلي.

ومن جهته يذكر محمد البشير شنيتي اعتمادا على ما ذكره المؤرخ الروماني بلين القديم في كتابه التاريخ الطبيعي المجلد الرابع واصفا الوندال بانهم قوم جرمان جاورو

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 70.

[2] القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص 3 .

[3] أندري جوليان، المرجع السابق، ص 322 .

الحدود الرومانية الشمالية الممتدة بين نهري الراين والدانوب خلال القرن الرابع قبل الميلاد في شكل احلاف .[1]

يكاد يحدث اجماع بين المؤرخين على اقامة الوندال في منطقة اودر وفيستول قبل ان تاتي الغزوات الاسكندينافية من القسم الشمالي لجرمانيا، والتي دفعت الوندال الى الجنوب، وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (167م)، اتجه الوندال الى اقليم داشيا واستقروا على ضفاف نهري الراين و الدانوب، وذلك قبل ان يتعرضو لضربات القوط (290م) الذين دفعوهم بدورهم الى الاستقرار بين نهري ثيس وماروش في اقليم ترانسلفانيا الذي ينحصر بين هذين النهرين .[2]

لقد وجد الوندال في اواخر القرن الرابع (392م)في اقليم بانونيا الذي يقع في غاليا أي فرنسا حاليا، وفي اواخر القرن الخامس وبعد انهزامهم امام الفرنجة (409م) في غاليا تسللو الى اسبانيا، و امام عجز الامبراطور هونريوس في الدفاع عن امبراطوريته انتشر الوندال في شتى ارجاء اسبانيا، وبعد صراع طويل مع الرومان في المنطقة دام الى غاية 422م هاجمو جزر البليار سنة425م، ثم سواحل موريطانيا سنة 428م .[3]

نستنتج مما سبق، انه على ما يبدو ان من بين المصادر التي تناولت الوندال واصولهم و هجراتهم، هم الجرمان الذين جاورو الحدود الرومانية الشمالية بين نهري الراين و الدانوب خلال القرن الرابع الميلادي، وكانو في شكل احلاف بعدما غادرو اسكندنافيا التي يمكن اعتبارها موطنهم الاصلي [4].

[1] العود محمد صالح، المرجع السابق، ص 39 .

[2] Ch, courtois, Les Vandales et lAfrique Ed Arts et Metiers graphiques, parisK, 1955, pp 15-16.

[3] محمد البشير شنيتى، المرجع السابق، ص 374.

[4] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 41.

اما من حيث المواصفات الاجتماعية، فقد ذكر الكتاب الرومانيين امثال بلين و تاسيت انهم ينتمون الى جذمين كبيرين احدهما يوصف بالتمنطق بالحمائل (احزمة عريضة)، ويدعى قومه بالسيلينغ و الاخر عرف افراده بترك شعر الراس ينمو ويسدل كالنسوة وهم الهاسدينغ وكلهم يعتقون المسيحية على المذهب الاريوسي بحكم الجوار .[1]

2. اسباب الغزو الوندالي لشمال افريقيا :

لقد اجتمعت العديد من العوامل التي دفعت بالوندال للتوجه نحو شمال افريقيا متمثلة في النقاط التالية :

– لم تكن اسبانيا مواتية للاستقرار الوندالي، ذلك لانه كان عليهم مواجهة الرومان من جهة، والقوط أي الاعداء التقليديين لهم من جهة ثانية، باعتبار ان هؤلاء الاخيرين كانو قد هاجمو في العديد من المرات في المناطق الاسبانية .

– ضف الى ذلك ان القلاقل التي عاشتها اسبانيا منذ دخول الوندال، جعلتها تستنفذ خيراتها، ولم يعد بامكانها ان تقدم شيئا لتلك الاقوام الراغبة في النهب والثراء.

– كما ان الوندال كانوا قد استقروا في البداية في منطقة غنية امنة لوقوعها في شمال غربي اوربا كانت تحت حماية الامبراطورية الرومانية.[2]

في هذه الاثناء يسعى الوندال بالاستلاء على روما عاصمة العالم المتوسطي حينذاك، ولكن ذلك لا ينفي ايضا وجود اسباب اخرى لها من الاهمية ما يجعل تلك القبائل تغامر بشعوبها المجتاحة من اجل الاستلاء على اجزاء كبيرة تمثلة في كل من جنوب غربي اوربا و الجزء الشمالي للقارة الافريقية باكملها .[3]

---

[1] Ch, Courtois, op –cit, pp 19-20.

[2] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 109-115 .

[3] محمد البشير شنيتى، المرجع السابق، ص 375 .

وهكذا فيما يخص مشاكل الامبراطورية الرومانية نفسها، التي كانت تتمثل في تدني المجال الاقتصادي المعتمد على الزراعة، حيث ان منتوج القمح الذي كان مصدرها الاول في افريقيا كان قد شهد تناقصا كبيرا، وهو ما ترتب عنه الندرة في المادة الغذائية الاولى التي ادت الى ظهور مشاكل اجتماعية خطيرة، اضافة الى ذلك تفاقم الوضع الاجتماعي لكثرة الحروب التي كانت نتيجتها الهزائم المتكررة، وهذا ما عبر عنه " شار اندري جوليان " بوصفه لحالة الاحتضار التي مرت بها الامبراطورية الرومانية في اواخر عهدها وهو ما شجع الوندال لتحقيق رغباته .

اما فيما يخص الجانب الافريقي، فقد لخص لنا المؤرخ (جوليان) في كتابه تاريخ افريقيا الشمالية ملائمة بلاد المغرب القديم للغزو الوندالي بقوله : "وقد خلبت افريقية لب ملك الوندال كما خلبت من قبله لب ملوك القوط خاصة وقد كان الضرف مناسبا جدا، فعلاوة على تمرد بونيفاس كانت الثورات البربرية المزمنة وكانت انتفاضات الاقوام التي ارهقتها ضرائب الامبراطورية وارهاب الدوناتيين الذين كانو يغتنمون جميع الفرص ليعبرو عن سخطهم إزاء السلطة المركزية و كانت إفريقية بأجمعها تتوق على غرار حاكمها إلى الاستقلال السياسي .[1]

ومن الطبيعي أن يتوقع من تحدثه نفسه بالاغارة على هذا البلد مقاومة ضعيفة ومساعدات ثمينة".[2]

اهم محفزات الحملة الوندالية على شمال افريقيا :

– اشتهار بلاد المغرب بالثراء الزراعي، حيث كانت لروما وكل مقاطعاتها تموين خاص بمختلف المنتوجات الفلاحية وعلى راسها القمح والزيت، وهذا ما اشبع غرائز

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 325.

[2] نفسه، ص 326.

الوندال بالمنطقة وافتكاكها عن الرومان في اطار حصار غذائي يعجل بسقوطها في ايديهم .

– كما يلاحظ ان افريقيا قد عرفت في العهد الاخير من الامبراطورية الرومانية فوضى عميقة بسبب تدهور الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والتي تمثلت في ارتفاع الضرائب و انتشار الفقر و ازدياد العداوة بين المور و الرومان، و بالتالي التفكير في الانفصال عن الامبراطورية الرومانية، و كل ذلك لم يكن بعيدا عن اعين جنسريق الذي تاكد بان هذا الوضع يخدم مصلحته الخاصة بشكل كبير .[1]

– الى جانب ذلك هناك الحوافز المثير من شمال افريقيا نفسها، و المتمثلة في الائتمان من جهة كونت افريقيا بونيفاس الذي كان غاضبا على الوضع ويضن انه اتفق مع الوندال لاستقبالهم و تسهيل مهمتهم مقابل حمايته ونجدته و ان هو تعرض لعمل عسكري من قبل سادة روما المتنازع معهم .[2]

– فضلا عن ادراك الوندال لمعادات المور للرومان و استعدادهم للتعاون مع أي طرف يمكنهم تحقيق المزيد من الاستقلال، وليس مستبعدا ان يكون الطرفان (الوندال وامراء الروم) قد اتصلا ببعضهما واتفقا على ادنى ما يمكن الطرفين من تحقيق مصالحهم [3]

وهذا ما يستنتج من عدم اعتراض المور طريق الوندال اثناء عبورهم للاراضي الموريطانية، بل لعل الناس كانو يشاهدون ذلك بتفشي كبير حسب تعبير المؤرخ شارل اندري جوليان .

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 47.

[2] Ch, Courtois, op– cit, pp 19–20.

[3] Ch, Courtois, op– cit, pp 19.20.

لقد كان الهدف الاول للوندال هو الوصول الى عاصمة عالم البحر المتوسط روما، والذي اختير من اجله الطريق الجنوبي الذي ينتهي بجزء بحري هام يربط بين ضفتي البحر المتوسط، لذلك فان جنسريق لم يهمل ذلك الموقع الاستراتيجي لانه وضع في حسبانه الخبرة والامكانية الافريقية في المجال البحري، وما يؤكد ذلك تنصيب نفسه كأميرا على ترسانة من القوات البحرية التي مكنته من الدخول الى روما في الثاني من شهر جوان عام 455م.[1]

والجدير بالذكر انه يمكننا القول بأن جنسريق إعتبر إفريقيا بمثابة قاعدة عسكرية أمامية من أجل بلوغ هدفه المتمثل في الاستيلاء على روما .

ومهما يكن فإنه إذا كانت الأسباب الخاصة بالطرفين الروماني والإفريقي تتمثل فيما أشرنا اليه، فان الأسباب الخاصة بالوندال تمثلت في حالت عدم الاستقرار بسب الصراع والنزاع الذي كان بينهم وبين مختلف القبائل الأخرى وعلى راسهم الفرنجة [2]، حيث كان الجميع يحارب من اجل الإستيلاء على نهر الراين وكل السهول الخصبة المجاورة له، كما أن الفرنجة اعتبروا انفسهم الحليف الوحيد والاساسي للامبراطورية الرومانية و عليهم الدفاع عن اراضيهم وفي خضم هذا الوضع اصبح الوندال على وشك الهلاك، لكنهم ولحسن حضهم تمكنوا من عبورالمناطق الجنوبية بحثا عن مناطق أكثر أمنا.

إن تمكن الوندال من وضع أيديهم على العديد من الأراضي وعبورهم لجبال البرانس ثم الإستقرار في إقليم غاليسيا أين صادفو القوط الغربيين الذين حاربوهم وإضطهدوهم بعدما تمكنوا من دخول روما وإخضاعهم لسيطرتهم على يد زعيمهم الاريك عام 410م، غير أن الامبراطورية الرومانية تمكنت من إثارة الأحقاد بين مختلف القبائل في إقليم غاليسيا لتمكين نفسها من السيطرة على الوضع والمنطقة في آن واحد، وكنتيجة لما سبق

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 326.

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 375.

تم أسرملك الوندال و هو ما جعل هؤلاء الأخرين يضطرون لمهادنة الإمبراطورية الرومانية والقبول بالخضوع تحت لوائها وإعلان التبعية رسميا لها .[1]

لقد تأكد الوندال بأن بقائهم في الأراضي الإسبانية غير مرغوب فيه بعدما قتل عدد كبير منهم، ولهذا واصلو تحركاتهم نحو الجنوب بهدف العبور إلى الضفة الجنوبية من البحر المتوسط، كما أنهم اقتنعوا بأن بقاءهم في إسبانيا يضعهم في عزلة عن العالم القديم، وقد يمكن خصومهم القوط أحلاف روما من محاصرتهم و القضاء عليهم نهائيا، فضلا عن تطلعهم الى إشباع نزواتهم في الإغارة والغنائم التي تكون في متناول أيديهم عندما يتمكنوا من الاستقرار بقرطاجة ذلك المكان المناسب لنشاطهم.[2]

لقد كانت اسبانيا في رأي الوندال سجنا يهددهم بالفناء اذا هم استقروا فيها بينما شمال افريقيا اممتد بمحاذات البحر الداخلي الزاخر بالملاحة التجارية والمتفتح على الشرق و الغرب و ما بينهما من اقطار وثروات كان في نظر عالما فسيحا يلائم تطلعات شعبه التواق الى الغزو [3].

كما ان السيطرة على افريقيا في رأيهم تعني حرمان روما من افضل قسم من امبراطوريتها .[4]

بعد الاستقرار الذي دام عدة سنوات نعم فيها الوندال بكل الخيرات الإسبانية من ذهب وقمح و أحجار كريمة، عاد التوتر السياسي والصراع بين القبائل في ضل المد والجزر مع قادة الإمبراطورية الرومانية، مما أدى في الأخير الى دخول كل القبائل تحت لواء جنسريق كملك عليهم الى غاية وفاته عام 428م ثم حمل هذا اللقب خلفاؤه من بعده.

---

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 48.

[2] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 109-115.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 376.

[4] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 376.

بعد السيطرة على الجنوب الاسباني بما فيه من مدن مثل قرطاجنة و أشبيليا التين تم افتكاكهما من ايدي جيوش الامبراطورية الرومانية سنة 425م ثم الاستقرار على طول السواحل الإسبانية و بسط الوندال نفوذهم على البحر المتوسط بفضل أسطول إسبانيا و سرعان ما تم إحتلال الجزر المحاذية للسواحل الإسبانية التي كانت مركز أمامية لإنطلاق سفنهم لنهب سواحل موريطانيا الطنجية ابتداء من سنة 425م.

وبعد موت جنسريق عام 428م الذي كان له والدان هما وجونثاريس وكان هذا الأخير لا يزال طفلا أما الأول فكان ذكيا متمرسا على ادارة شؤون البلاد في حيات أبيه وبعد وفاته حيث بدأت الأحداث في افريقيا تشكل جذبا متوقعا للوندال، والتي ميزها صراعا سياسيا كبير

لقد كان هناك اتفاق بين بونيفاس عن طريق سفرائه في اسبانيا وجنسريق ملك الوندال يقضي باان يتولى الملك الوندالي الذي خلف اباه في حكم الشمال الافريقي بواقع ثلث الاراضي لكل منه ثلث لبونيفاس وثلث لجنسريق وثلث اخر لجونثاريس واذا هو جاء احدهم من طرف أي عدو فعلى الثلاثة ان يتحدوا معا ضد ذلك العدوا [1]

بناء على ذلك ساعد جنسريق الاقتراح المشار اليه آنفا وذلك بحكم صغر سن اخيه الذي يسمح له أن يتحصل على ثلثي الاراضي من جهة ومن جهة اخرى كان جنسريق يرمي من وراء ذلك ايجاد من يساعده على العبور الى الضفة الجنوبية من البحر الابيض المتوسط بعدما تعهد له بونيفاس بتقديم كل التسهيلات والوسائل اللازمه بذلك، وهكذا عبرت كل أمة الوندال الى الشمال الافريقي في ماي من عام 429م .[2]

يقال أن تعداد ما عبر من الوندال الى الشمال الإفريقي كان ثمانين ألفا منهم خمسون ألف محارب، وكان هذا العدد يتضاعف بإستمرار بمن ينظم إليهم من المور الى الوندال

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 48-59 .

[2] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 109-115.

لاسيما اولئك الذين كانوا قد عانوا الكثير من مضايقة وضرائب الرومان الذين أخرجوهم من أراضيهم وسلبوهم خيراتهم وهناك من الؤرخين من يرى بأن المحاربين الوندال فقط هم الذين عبروا في بداية الامر ولم يعبر الشعب الوندالي بكامله إلا بعد سقوط قرطاجة، غير أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي ذلك إنه من الصعب ترك الشعب الوندالي كله دون قوة تحميه .[1]

نستنتج من مما سبق أن الوندال لم يجدوا المساعدة من الأهالي فقط الذين خرجوا لإشفاء غليلهم من الطغاة المستبدين الرومان، والذين أبعدوهم من أراضيهم وسلبوهم خيراتهم بل هناك الرومان المتذمرين الذين كانوا يفضلون الفوضى الوندالية على القسوة الإدارية الرومانية وخاصة قسوة الضرائب التي كانت تسلط عليهم .

الى جانب وقف الدوناتيين مع الوندال وقدموا لهم المساعدة وذللك ناتج على تعطشهم للإنتقام من الكاثوليك الذين شردوهم وجردوهم من ممتلكتهم ولهذا حاولوا إستمالة القوط الذين ارسلهم الامبرطور الروماني لمحاربة الوندال .[2]

وعلى أية حال فمهما تعددت الروايات فالثابت الذي لا خلاف فيه هو أن عبور الوندال الى إفريقيا كان بمساعدة القائد بونيفاس.

يعتقد الكثير من المفكرين بأن الوندال كانوا لا يملكون أسطولا بحريا بإمكانه نقل الجيش الشعب الوندالي نحو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، غير أن سيطرتهم على الجزر المتاحة للسواحل الاسبانية التي كانت تملك بعض القطع البحرية والتي بدون

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 48-59.

[2] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 110-115.

شك كانوا قد استغلوها في نقل المحاربين نحو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط تنفي هذا الاعتقاد وتؤكد أن الوندال لهم خبرة في المجال البحري لا يستهان بها [1].

ومن جهته يؤكد كورتوا في عملية النقل والإنزال في الضفة الجنوبية والتي استعمل فيها الوندال قوارب متجهين بها مباشرة نحو السواحل الافريقية، وهذا مايجعلنا نفترض ان انتقال الشعب الوندالي من جنوب اوربا الغربية الي شمال افريقيا كان قد اتخذ طريقين الاول عبر مضيق (جبل طارق) نحو طنجة المغربية والثاني بحري نحو السواحل النومدية التي تشكل الهدف الاسمى لجنسريق بحكم ما تملكه من خيرات، ولكن يبقى المسار الثاني غير مؤكد ما دام لم يجد الادلة المادية والادبية والتي تؤكد هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك صعوبات تكتنف ذلك المسار البحري و المتمثلة في نقص الخبرة الوندالية في استعمال السفن، كما أن المواجهة العسكرية الرومانية تشكل خطرا، يضاف الى ذلك حجم عدد الوندال الذي قارب 80م ألف شخص .

اذا سلمنا بأن الانتقال كان قد تم عن الطريق الواقعة بالسواحل الإسبانية بإتجاه طنجة المغربية عبر مضيق (جبل طارق)، فإن النقطة الموالية مباشرة في الجزء الشمالي لافريقيا تتمثل في طنجة ثم ألتافا، [2]

وهذا ما يمكن أن نسلم به إذا ما قمنا بعملية حسابية تتمثل في متوسط سرعة الوندال من طنجة الى ألتافا التي كان الوصول اليها في شهر أوت 429م أي حوالي شهرين كاملين.

وحسب تقديرات كورتوا فان تلك المسافة المقدرة ب 700كلم من طنجة الى ألتافا تتطلب مدة شهرين على الأقل سيرا على الأقدام و الحيوانات للوصول اليها .

[1] العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 48-59 .

[2] Ch, Courtois, op- cit, pp 19-20.

ولم يبلغ الوندال مدينة عنابة الا في شهر جوان 430م الذي تطلب منهم قطع مسافة 1200كلم هاذا اذا انتقلو عن طريق السواحل في وقت استغراق ما يقرب سبعة أشهر بسبب المواجهات الرومانية التي عطلت تقدمهم، [1]ولقد واجه الوندال القديس أوغسطين هذا ما أدى الى مقتله فتسقط المدينه في قبضه العدوولم يسعى بعد ذلك بونيفاص الى أن يلتحق آخر الأمر بمدينه رومة على إثر هذا الفشل المريع وفي هذه الاثناء قد بلغت من الكبر عتيا بحيث أصبحت تنضر في الحوادث المحزنه التى حلت بإفريقيا ولا تستطيع الدفاع عن حوزتها،

بما أن جنسريق يعلم أن نجاحه مرهون بعدم تدخل إمبراطور الشرق فإنته بعقد ميثاق إنحصرفي نقطتين:

- يلتزم جنسريق بعدم مواجهة "إفريكا"
- يعترف بوجوب دفع جزيه سنويه لصاحب القسطنطينيه مما بعث ولده كرهينه "هونيرييك" لدى الإمبراطور[2]

لكن جنسريق منذ توقيعه للمعاهدة وهويستعد للمواجه أرجع للإمبراطور ولده ودخل قرطاجه ذات التاريخ الحافل إستقر في قرطاج وجعلها قاعده له عام 349 م ولم يلبث الوندال عقب إستقرارهم بمدينه قرطاجنه أخذو يفكرون في توسيع دائره نفوذهم وأنشأ أسطولا هائلا فحتلو جزر البليار وسردينيا وصقلية وكرسيكا،

تم لجنسريق ما نوى وأنشاء مملكه واسعة الأطراف لكن خلفائه لم يحسنو التصرف فيها ولا الدفاع عن تلك المملك العريضه التى لم تبق إلا مده يسيره حتى تصدعت أركانها على أثر وفاة زعيمها الأكبر[1]

---

[1] Ch, Courtois, op- cit, pp 19-20.

[2] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 120-125 .

هذا ما أدى الى فقدان عصبيتهم يقول عليها المؤرخ إبن خلدون " إنهم يتنعمون فيها آتاهم الله من البسطة ويستنكفون عن سائر الأمور الضروريه في العصبيه حتى يصيرذللك خلقا لهم، فتنقص عصبيتهم و بسالتهم في الأجيال بعدهم يتعاقبها الىأن تنقرض العصبيه فيأذنون بالإنقراض" وهكذا كان مصيرها الإضمحلال والموت .[2]

[1] محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 126.

[2] مقدمة إبن خلدون، ص 4 .

خاتمـــــــــــــــــــــــــــة

إعتنقت بلاد المغرب مظاهر دينه إرتبطت بحياتهم العامة وبيئتهم التي كانوا يعيشون فيها متأثرين بمظاهر الطبيعة وإستخدموا لتقرب منها طقوس بغية إسترضائها ونيل بركتها.

تفتح سكان المغرب على عقائد أجنبيه وتسربت العديد من المعبودات التي سمحت بتسرب معبودات فينقيه ورومانيه وإغريقية، ظلت تتعايش مع المعتقدات المحلية مما أثر الجانب الديني الوثني المغاربي القديم.

كما تسربت أيضا الى بلاد المغرب القديم خاصة الى بعض الحواضر الديانة اليهودية التي تعد ديانة توحيديه ولقيت على نطاق محدود أتباعا.

تميزت القرون الأولى للإحتلال اورومانيه بمحاولات الرومنة الحياة اليومية وظهر ذلك نقل مظاهر الحياة الرومانية في المنطقة وفي خضم هذه المعطيات العامه بدأت الديانة المسيحية تنتشر في المنطقة عبر منافذ متعددة من الشرق وعبر الرسل الأوائل وبواسطة التجاره على الأرجح وعبر روما مما دافع الأباطره الأوائل الى إضطهاد الى الفئات التي إعتنقت المسيحيه.

إن المسيحية توغلت في المنطقة نتيجة لعدة عوامل :

انتشار العنف من طرف السلطة وبروز المسيحية بمبادئ المساوات والتضامن والحرية خاصة وان المسيحيين المغاربة من أكثرهم عرض للإضطهاد.

مع حكم الإمبراطور دقلديانوس سنة 285 م حدث تغير كبير للديانة المسيحية في المغرب حين أمر جميع الرعايا بتسليم قرابين الوثنية خاصة في صفوف الجنود سنة 303 مما أدى الى حالات تمرد ضد تلك الأوامر والعمل في الجيش وبدأ يتجلى عصيان حقيقي، وحدث نتيجة ذلك حالات رده، وبعد إستقالة دقيليانوس 305م بدأت مرحله جديدة في الغرب

في عهد قسطنطين عمل على إحتواء المسيحيين مما حدث الإنشقاق الحقيقي بعد تعين بعد تعيين كاسيليانوس المتهم من طرف خصومه بالتواطؤ مع السلطة الوثنية أثناء الإضطهاد أصدر قسطنطين براءة ميلانو سنة 313 م التي تدعو الى إحترام المسيحية وفي وقت لاحق أعطت السلطة للأساقفه حق إدارة التقاضي وإصدار الأحكام في النزاعات التي تعرض عليهم بهدف تسهيل عملية مراقبه النشاطات الدينية وتوجيهها لخدمة السلطة.

ظهر القديس أوغسطين أحد أباء الكنيسة ومعلميها حيث يعتبر المؤسس الحقيقي لفن السيرة الذاتية وصاحب النظريات الفلسفية الأهوتية، ترك تأثير في الكثير من المفكرين الفلاسفة وعلماء الاهوت قديما وحديثا، حيث سعى أوغسطين بإجتهاده في البحث عن الأصول المسيحيه في شتى المجالات الفكرية.

وهذا ما أدى نتيجة لتحولاته الفكرية التي أثرت على حياته وجعلت منه شخصيه بارزه في الفكر المسيحي وأهم نظريه طبقها أوغسطين على الأحداث التاريخية هي نظرية العناية الإلهية يؤكد القديس أوغسطين أن محرك التاريخ هو صراع المدينتين وأن المسار ككل تحكمه في العناية الإلهية وتنظمه كما وضحه في كتابه مدينه الله

تعتبر مدينه الله عند القديس أوغسطين هي مدينه النور والخير بينما هذه المدينة توازي عنده مدينه الأرض مدينة الظلمات والشر

رفض القديس أوغسطين التفسير الدوري لتاريخ لا يمكن أن تكرر كولادة السيد المسيح وأن طبيعة البحث تحليله قللت من الجانب النقدي مثلما رفض تصادفه في تفسير التاريخ لأنها تتعارض مع العناية الإلهية.

إعتبر القديس أوغسطين إستخدام الفلسفة في دراسة مسائل لاهوتيه كنقطة جوهريه لبداية التاريخ .

سقوط آدم من الفردوس الأعلى وهذا ما نتج عنه إستمرار الخطيئة عند البشر لا يمكن فهم التاريخ عند القديس أوغسطين إلا من خلال الرجوع للمبادئ الأولى التي سارت عليها المسيحية للتاريخ في تفسيرها للتاريخ.

دراسة القديس أوغسطين لفلسفة التاريخ بمنظور عقائدي أكثر منه منظور فلسفي عقلى، كما أن الصراع الدوناتي الكاثولكي قام على أساس العداء للسلطة ولمن كان يتعامل معها خلال المحن السابقة.

إن السياسة الإمبراطوية تجاه الدوناتيين كانت نتيجة عكسية على السلطة مما زادت من شعبية وقوة الحركة الدوناتيه وتحولت الى حركه تقود معارضي الإمبراطورية الرومانية في منطقة المغرب القديم لقد ولدت حركة جدل ومناقشه من طرف القديس أوغسطين الذي نظر إليها تفسد مبادئ الديانة المسيحية هذا ما أدى الى تحالفه مع السلطة ضد هذه الحركة، كما أضعفت الحركة الدوناتيه الوجود الروماني في المغرب في محاكمة قرطاج سنة 411م .

لقد كانت الفرصة الجيدة للمغاربة القدماء بتحركات الوندال في الجهة الشمالية للبحر المتوسط ورغبتهم في إحتجاج شمال إفريقيا وإزاحة بقايا الإمبراطورية الرومانية لهذا كانت عملية الإستنجاد بهم من أجل ضرب الوجود الروماني في بلاد المغرب على عملية الإستغلال التى عانه منها الفرد المغاربي لمدة طويله لقد تمكن الشعب الوندالى في حملته في شبه جزيره إيبيريا عبورا بمضيق جبل طارق وإكتساح الشمال الإفريقي بسهولة كبيره رغبة منهم في تحقيق العديد من الأهداف يمكننا من خلال إجتياح الوندال لشمال إفريقيا إستنتاج وبشكل تلقائي الأهداف الخفيه للوندال والتي يمكن ان نلخصها فيما كانت تملكه بلاد المور من إمكانيات إقتصادية عامه أسالت لعاب هؤلاء المغامرين غير أنه لم يمضي وقت طويل عن وجود الوندال في شمال إفريقيا حتى إكتشف المغاربة بأن هؤلاء الغزاة الجدد لا يختلفون كثيرا عن الرومان الذين سبقوهم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصـــــــــــــــادر :

-أوغسطينالقديس،إعترافاتي، ط2، تر :إبراهيم الغربي، مراجعة محمد الشاوش دار التوزيع، 2015.

- أوغسطين، مدينة الله، تر الخور أسقف يوحنا الحلو، مج 3، ط2، دار الشروق، بيروت.

-انجيل لوقا

-إنجيل يوحن

ا- ابن خلدون، عبد الرحمان، مقدمة إبن خلدون .

-ابن خلدون عبد الرحمان،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في معرفة ايام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر، ج 2، بيروت، 1968.

- سفر أعمال الرسل

- سفر التكوين،

❖ المراجـــــــــع العربيـــــة :

-البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم،(أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي) ج.، 1نشر تواليت، بلا. تا.

-النشار مصطفى حسن، "فلسفة التاريخ" معانيها ونشأتها وأهم المذاهب، ط 1، دار المسيرة، عمان، 2006.

-إيمار أندري، جانين أبوابي،تارخ الحضرات العام، مج 2، تر فريد داغر .

-بازامه محمد مصطفى، المسيحية في ليبيا، مجلة الفصول الأربعة العدد4، طرابلس، 1978 .

- فارس فايز، الأخلاق المسيحيه، ج2، ط1، دار الثقافه،القاهره، 1992.

-فراج عبد المسيح عادل، موسوعة اباء الكنسية، ج2، دار الثقافة، القاهرة مصر.

-جوليان شارل ادري، تاريخ شمال افريقيا تونس الجزائر مغرب الأقصى منذ البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م تع : محمد مزالي البشيربن سلامة، ب ط، بن سلامة دار التونسية للنشر، تونس، 1969.

-جيبون ادوارد، اضمحلال الإمبرطورية الرومانية وسقوطها،تر:محمدعلي أبودرة،ج1،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.

-حمداوي جميل،الديانه عند الأمازيغ، ب ط، ب د، ب س.

-رأفت غنى الشيخ، فلسفة التاريخ، د ط، دار الثقافه،القاهره، 1981.

- رؤوف شلبـــي، أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، المكتبة العصرية، بيروت، 1975.

- روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا(دراسة تاريخية من القرن الأولى القرون الوسطى)، ترسمير مالك دار منهل الحياة ن بيروت،1999.

- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة،دط، تر: فتح الله مشعشع، بيروت، 1972.

-لوريمرجون، تاريخ الكنيسه، ج3، ط1، دار الثقافه، القاهره، 1298 .

-محي الدين المشرفي محمد، افريقيا الشمالية في العصور القديمه، ط 4، 1969، دار الكتب العربية، ب مك، 1969 .

محي الدين محمد، افريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، د م، ط1، 1969.

-محمود الخضيري زينب، لاهوت التاريخ عند القديس أوغطين، د ط، دار قباء، القاهرة، 1997.

-مجموعه من المؤلفين، فلسفة التاريخ جدل البدايه ونهاية العد الدائم، ط1، دار روافد، بيروت، 2010.

- يحي الملاحهاشم، المفصل في فلسفة التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

- يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، مرقص داود، مكتبة الحكمة، مصر، 1999 .

❖ **المجلات :**

-بوبايه عبد القادر، مجلة عصور الجديده، مختبر تاريخ الجزائر، قسم التاريخ وعلم الأثار، ص1541 المنور كليه العلوم الإنسانيهوالإسلاميه،ج وهران، 2013.2014 .

-شنيتى محمد بشير،الدوناتيه وثوره الرفيين خلال القرن الرابع، مجلة الأصاله عدد 60،1978 .

- عقون محمد العربي، من أعلام المغرب العربي الكبير القديس أوغسطين، الحوار الفكري، العدد 03، جامعة منتوري،قسنطينه، جوان 2002.

- عيسى محمد، معالم الأثار المسيحية المبكرة في ليبيا مجلة التراث الشعب، وزارة الثقافة، العدد 6، 1993 .

-غانممحمد الصغير، الثوره الريفين الأوراسيين ضد الإستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13،باتنه، الجزائر، 2005.

❖ **الماســـــــتر :**

-عائشه سعدان . نصيره بالى، المظاهر الفكرية المغاربية، من قرن 4 م الى قرن 5 م ،إش السعيد شلالقه، ج حمه لخضر، الوادي، 2016.2017.

-محمودي سميه بوسريه أسماء، فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين، مذكره لنيل شهادة الماستر، قاصدي مرباح،ورقله .

❖ **الماجستيـــــــــر :**

-العود محمد الصالح، التحولات الحضاريه في شمال إفريقيا في الفترهالوندااليه 429 534 م،إش محمد الصغير غانم، مذكره لنيل شهادة الماجستير ج منتوريقسنطينه،2009.2010 .

- نشنش حميدة، رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313م من خلال ترتوليانوس و كبيريانوس، مذكرة لنسل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2009/2008.

-نسيبة مزواد، فلسفة الحضارة في القديم، مذكره ماجستير، جامعة باتنة .

ريان رجائي، مدخل لدراسة التاريخ، بن رشد، عمان، 2001 .

❖ **الدكتـــــــــــــــوره :**

- عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي) مذكرة نيل شهادة الدكتورة، جامعة المتنوري، قسنطينة، 2010/2009.

-عمران عبد الحميد،الديانه المسيحيه في المغرب القديم النشأة والتطور 180. 430 م،إش محمد الصغير غانم، ج منتوري،قسنطينه، 2010.2011 .

❖ **المراجع بالأجنبيـــــــــــة :**

- Ch, courtois, Les Vandales et lAfrique Ed Arts et Metiers graphiques,parisK,1955, pp, 15.16

- HENRI MARROU,SAINT AUGUSTIN et l'augustinisme, éd., SEUL,Paris,1973Monceaux Paul, les colonies Juives dans l'Afrique romaine, C.T.,T.18,1970 .
- J, B risson, Gloire et misere de lAfriquecheretienneK paris, 19,338,341
- J.F Petit.,Saint Augustine,our contemporary:Readings in the 20th century,Bayard jeunesse,Paris,2015,pp120
- Mesnage, (J P),Le Christianisme en Afrique (L'origine développement et extension) , Alger Paris , 1914
- Monceaux,Lèglise donatiste aux temps deS.Augstin,R dHistoire des Roli, 61,1910,
- Pallu de Lessert, Faste des provinces Africanes sous La domination Romainne,Tome 2, paris, 1901, p, 243

انتشار المسيحية في افريقيا[1]

[1] شارل اندي جوليان، المرجع السابق ، ص 281

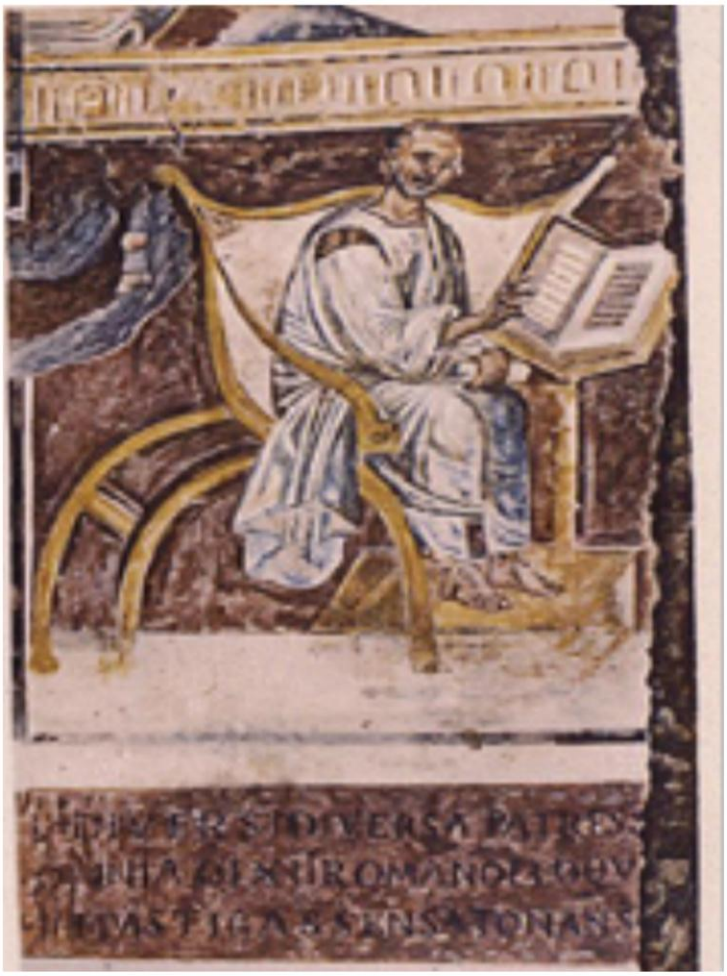

القديس اغسطين[2]

[2] – ربيع عولمي: المرجع السابق، 507.

تمثال للامبراطور ديوكتليانوس [3]

تمثال للامبراطور قسطنطن[4]

[3] – ربيع عولمي، المسيحية في بلاد المغرب ودورها في أحداق القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم ، قسم التاريخ، المشرف الطاهر ذراع، ص 298.

[4] – نفســـه: ص 575.

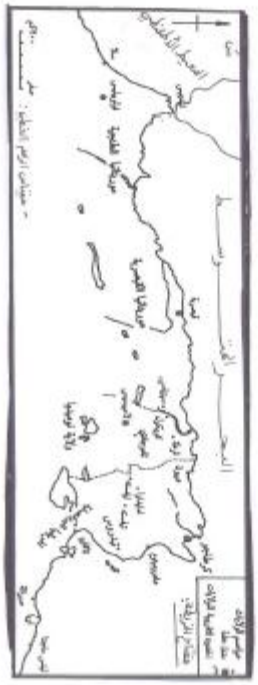

أهم المدن التي انتشرت فيها المسيحية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الرابع ميلادي [5]

[5] – مها عيساوي، المرجع السابق، ص 461 .

الوندال في اوربا سنة 406 م [6]

[6] – العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 43 .

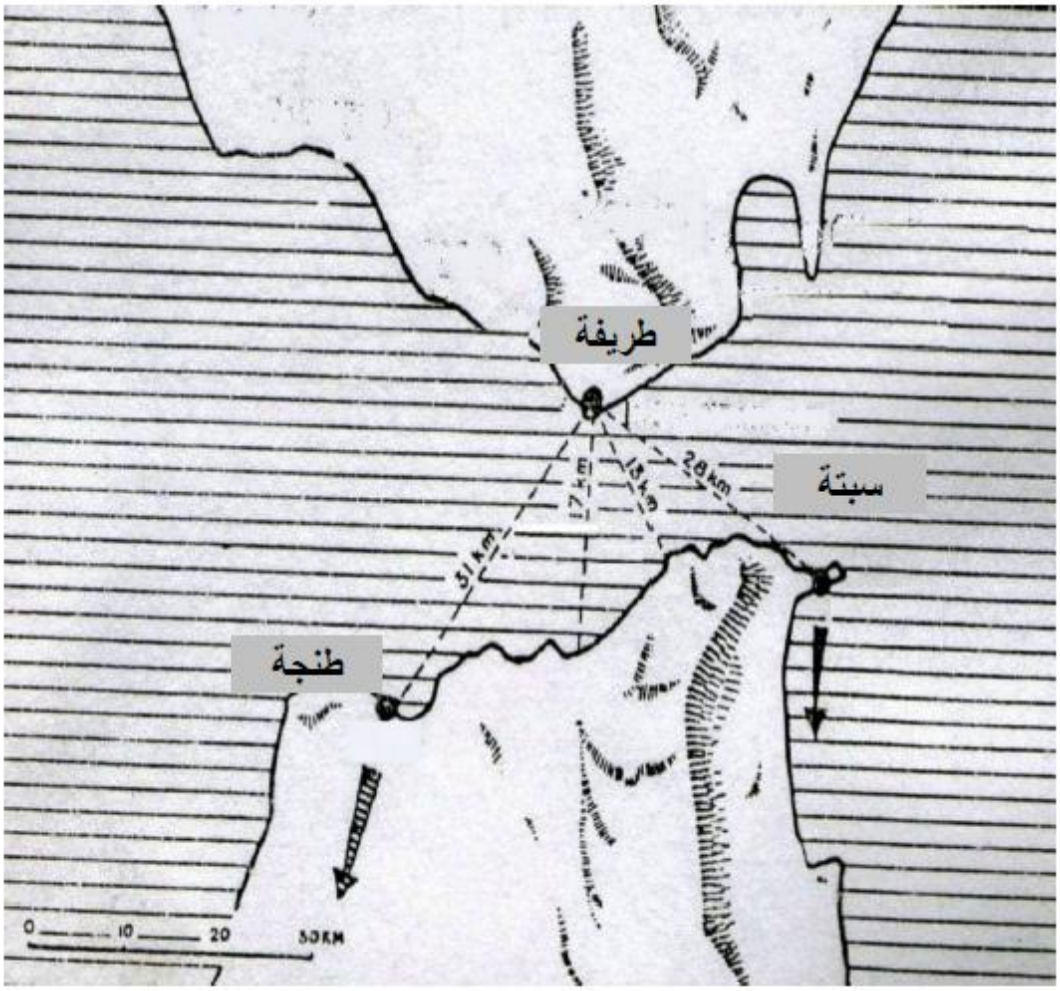

عبور الوندال الى الضفة الجنوية للبحر الابيض المتوسط سنة 429 م [7]

[7] – العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 55 .

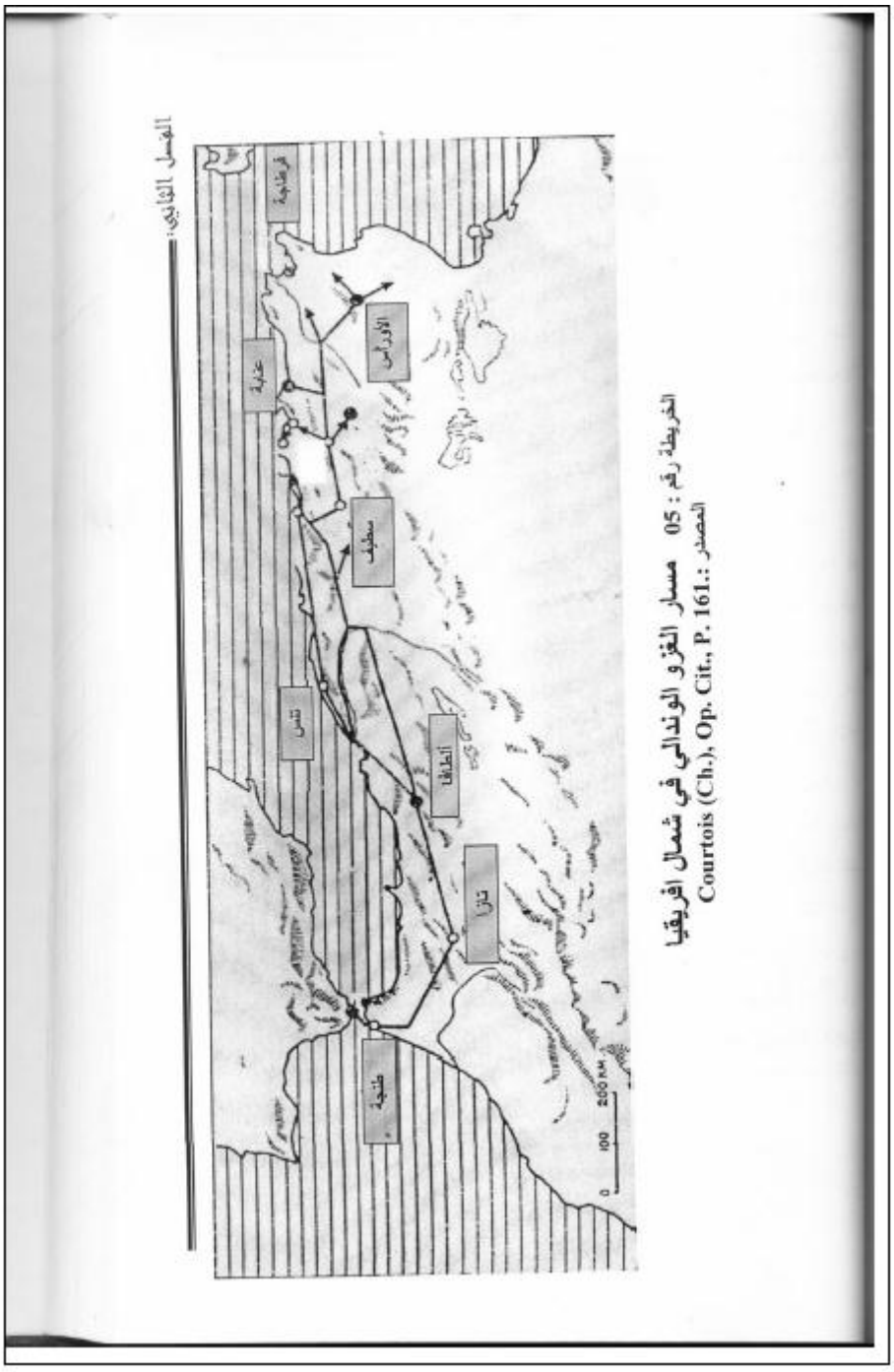

الخريطة رقم : 05 مسار الغزو الوندالي في شمال افريقيا
المصدر :Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 161.

عبور الوندال الى الضفة الجنوية للبحر الابيض المتوسط سنة 429 م [8]

[8] – العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص 57 .

فارس وندالي [9]

[9] – محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص 121 .